مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

شعر علي بن إسحاق الزاهي (دراسة في التفاعل النصي)

د/هالة ربيع عبد العزيز(*)

الملخص:

جاء هذا البحث بعنوان شعر علي بن إسحاق الزاهي _ دراسة في التفاعل النصي، وقد تم تناوله من خلال أربعة محاور رئيسة، المحور الأول، بعنوان: التفاعل النصي الديني في شعر الزاهي، وجاء المبحث الثاني بعنوان: التفاعل النصي التاريخي في شعر الزاهي، وجاء المبحث الثالث بعنوان: التفاعل النصي الفكري والكلامي، وجاء المبحث الرابع والأخير بعنوان: التفاعل النصي الشعري في ديوان الزاهي، وذلك في ضوء تطبيق نظرية (التناص/ التفاعل النصي)، في محاولة إقامة علاقة مشروعة بين النص والموروث، فالقراءة الإبداعية هي التي تعيد إنتاج النص المقروء على ضوء سلسلة من التعالقات، والتفاعلات التناصية المتشابكة..

الكلمات المفتاحية:

الزَّاهي.. التناص.. التفاعل النصي.. شعر الشيعة.. شعراء آل البيت النبوي.. شعراء سيف الدولة.. الشعر في القرن الرابع الهجري.. شعراء بغداد في العصر العباسي..

Abstract

This research is entitled: The Poetry of Ali Bin Ishaq Al-Zzahi - A Study in Textual Interaction. It is dealt with through four main axes. The first axis is entitled: Religious Textual Interaction in Al-Zahi's Poetry. The second topic is entitled: Historical Textual Interaction in Al-Zahi's Poetry. The third topic is entitled: Intellectual and verbal textual interaction. The fourth and final section is entitled: Poetic textual interaction in Al-Zahi's collection, in light of the application of the theory of (intertextuality/textual interaction), in an attempt to establish a legitimate relationship between the text and the inherited. Creative reading reconstructs the read text in the light of a series of interwoven intertextual relationships and interactions.

Key words:

Al-Zzahi, intertextuality, textual interaction, Shiite poetry, the poets of Al-Bayt Al-Nabawi, the poets of Saif Al-Dawla, poetry in the fourth century AH, and the poets of Baghdad in the Abbasid era.

(*) مدرس - قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة المنيا

مقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله، وتابعيهم إلى يوم الدين... وبعدُ

فيطيب لي أن أقدم هذا البحث وموضوعه: (شعر علي بن إسحاق الزاهي دراسة في التفاعل النصِّيّ)، وهي دراسة تحليلية تعتمد على إبراز معالم التفاعل النصي بين شعر الزاهي وما صدر عنه من روافد ثقافية وفكرية شاع رواجها في عصره...هادفة إلى محاولة الإجابة عن عدد من الأسئلة المرتبطة بهذا الشاعر وشعره وفي مقدمتها، ما روافد التكوين الثقافي والفكري التي صدر عنها الزاهي في بناء تجاربه الشعرية كغيره من شعراء الشيعة في القرن الرابع الهجري؟ وأي هذه الروافد كانت لها الصدارة كما وكيفا على غيره من الروافد الأخرى، ولماذا؟ ولماذا لجأ الزاهي إلى التفاعل النصي بقصد أو غير قصد؟ وكيف صنع الزاهي تفاعله النصي مع هذه الروافد؟ وإلى أي مدى تفرَّد عن غيره من معاصريه وسابقيهم من شعراء العصر العباسي بعامة وشعراء القرن الرابع بخاصة؟ وإلى أي مدى واكبهم أو تخلف عنهم؟

وجاءت دراستي التطبيقية التي صدرتها بإلقاء الضوء على كل من: الشاعر، وسيرته، وديوانه، والتفاعل النصي مفهومه، وأنماطه، مقسمة إلى أربعة مباحث رئيسة متكاملة أولها: التفاعل النصي الديني في شعر الزاهي، وانقسم إلى ثلاثة أقسام: التفاعل النصي مع القرآن الكريم، والتفاعل النصي مع الهدي النبوي الشريف، والتفاعل النصي مع بعض أقوال الصحابة، وثانيها: التفاعل النصي التاريخي في شعر الزاهي، وثالثها: التفاعل النصي الشعري في ديوان الزاهي، والأخير: التفاعل النصي الفكري والكلامي ، متبعة إياه بالخاتمة ونتائج البحث وتوصياته وثبت المصادر والمراجع..

الدراسات السابقة:

استفاد البحثُ من ثمرات مجموعة متكاملة من البحوث والدراسات المرتبطة بشكل، أو آخر بجزء أو أكثر من مكوناته، مقسَّمة ثلاث فئات، هي:

أ_ الدراسات المعنية بثبر أغوار التفاعل النصي، وما يتصل به تنظيرًا، وأهمها:

١_ جوليا كريسطيفا: علم النص. (١)

٢_ جراهام ألان: نظرية التناص. (٢)

٣_ أحمد الزغبي: التناص نظرياً وتطبيقيا. (٣)

٤_ محمد عزام: النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي_ دراسة_. (٤)

٥_ محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص). (٥)

١_ ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م.
٢_ ترجمة باسل المسالمه، دار التكوين، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١١ م.
٣_ مؤسسة عمون للنشر، الأردن، ط ١، ٢٠٠٠ م.
٤_ اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١ م.
٥_ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، وبيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢ م.

٦_ حسين جمعة: المسْبار في النّقد الأَدبي (دراسة في نقد النقد للأدب القديم والتناص). (١)
٧_ عمر عبد الواحد: التعلّق النصّي، مقامات الحريري نموذجًا. (٢)
٨_ عبد القادر البقشي: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي_ دراسة نظرية وتطبيقية. (٣)
٩_ نانسي إبراهيم: التعالق النصي_ في الخطاب النقدي والإبداع الشعري. (٤)
١٠_ نهلة فيصل الأحمد: التفاعل النصي_ التناصية Intertextuality النظرية والمنهج. (٥)

ب_ الدراسات النقدية التطبيقية الموازية التي اضطلع أصحابها ببناء بحوثهم على أعمدة التفاعل النصي، في الشعر العباسي بعامة، وأهمها:

١_ محمد رافع القاضي: استدعاء الشخصية التاريخية في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري (٦)
٢_ عبد الله طاهر الحذيفي: فاعلية التعبير القرآني في الشعر المحدث العباسي (٧)
٣_ أسامة شكري العدوي: التناص القرآني في الشعر العباسي دراسة بلاغية نقدية (٨)
٤_ إبراهيم عبد الله عبد الجواد، د. زهير أحمد المنصور: التناص الديني وتشكيل الرؤية_ أبو نواس أنموذجًا (٩)
٥_ محمود محمد سالم عبيدات: التناص في شعر أبي نواس (١٠)
٦_ فواز بن زايد العقيل الشمري: التناص في شعر البحتري (١١)
٧_ مصباح أحمد الصادق: التناص في شعر أبي الطيب المتنبي (١٢)
٨_ إبراهيم مصطفى محمد الدّهون: التناص الديني في شعر أبي العتاهية (١٣)

١_ من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣ م.
٢_ دار حروف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩ م.
٣_ تقديم د. محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٧ م.
٤_ دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤ م.
٥_ مؤسسة اليمامة الصحفية، (سلسلة كتاب الرياض)، العدد ١٠٤، يوليو ٢٠٠٢ م.
٦_ دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠ م.
٧_ عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٩ م.
٨_ حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، ع ٣٤، مج ٤، ٢٠١٤ م، ص ٣٢٥٩_ ٣٣٢٨.
٩_ مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، عدد ١، يناير ٢٠٠٢ م، ص ٩_ ٣٧.
١٠_ ر. د، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٧ م.
https://0610gi11u-1104-y-https-search-mandumah-com.mplbci.ekb.eg/Record/717974
١١_ ر. د، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠١١ م.
https://0610gi11u-1104-y-https-search-mandumah-com.mplbci.ekb.eg/Record/731520
١٢_ المجلة الليبية العالمية: جامعة بني غازي، كلية التربية بالمرج، عدد ٦، مارس ٢٠١٦، ص ١_ ١٦.
http://search.mandumah.com/Record/762866
١٣_ مجلة كلية الآداب: عدد ٦٠، ٢٠١٧ م، ص ٣٣٥_ ٣٥١.
https://sciences.univeyes.net/journals/artman_journal/article_147054_e7a6f458da8bc1c3960479b4a48463c2.pdf

٩_حسن علي بشير بهار: التناص الديني عند أبي العتاهية (١)

١٠_ ماهر فارس فندي البطاينة: التناص في شعر أبي فراس الحمداني (٢)

١١_ عائد عبد الرحمن عبد الرحيم محمود: التناص في شعر أبي فراس الحمداني (٣)

جـ_ الدراسات المختصة بإلقاء الأضواء على الشيعة والتشيع وأدبهما في العصر العباسي بعامة وشعر الزاهي بخاصة، وفي صدارتها:

١_ د. محمد جابر عبد العال الحيني: حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق إبان العصر العباسي الأول (٤)

سلط المؤلف في ثلاثة أبواب بعض الضوء على كل من بدء التطرف الشيعي وتطوره في الكوفة والبصرة وبغداد وواسط، إضافة إلى حركة الغُلاة والمتطرفين، وأثرها في الحياة الأدبية فيها، مسجلًا بعض آيات هذا التطرف في الدعوة إلى اللهو وإلى اللذة، ورد فعل الدعوة إلى اللذة، والمقاومة بالأحاديث، والفوضى في بغداد، وقيام حركة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. مختتمًا بتلخيص نتائج بحثه في تفتيح بعض الأبواب للشعر، في هذه البيئات المشار إليها، كانت مغلقة دونه، كالغزل بالغلمان، والحرية في الوصف، والتغني باللذات، على شكل لم يكن مألوفًا في الإسلام..

٢_ د. شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية_ العراق إيران) (٥)

صدَّر المؤلف _رحمه الله_ حديثه عن (شعراء التشيع) بالإشارة إلى شيوع مذهب الشيعة الإمامية في العراق، وتكاثر شعراء الشيعة، الذين مضوا ينظمون في موضوعين أساسيين، هما: مناقب الإمام علي بن أبي طالب _رضي الله عنه_، متحدثين عن سيرته، وانتصاراته على مشركي قريش، وغيرهم، وما فتح الله على يديه من حصون خيبر، مُضيفين إلى ذلك كلَّ ما يُروى له من فضائل، منذ اعتنق الدين الحنيف، وجاهد في سبيله إلى وفاته .. أما الموضوع الثاني فهو بكاءُ الحسين وندبُه، واتسع ذلك حتى أصبح يومُ مصرعه مأتمًا عامًا في كربلاء وبغداد، وأعدَّ ذلك لأن يصبح بكاء الحسين وندبه موضوعًا أساسيًا في شعر الشيعة الإمامية.. ودعا المؤلف إلى العودة إلى كتاب (أدب الطف لجواد شُبَّر؛ لمطالعة ما جمعه المؤلف للزاهي الشاعر البغدادي، المتوفي سنة (٣٦١ هـ)، وخاصة في مناقب الإمام عليّ وذكر الأئمة الاثني عشر، واحدًا واحدا، مُشيدًا بهم إلى أن انتهى إلى مهديهم،

١_ ر. م، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٣_ ٢٠١٤ م.
https://ebook.univeyes.com/112694

٢_ ر. د، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠١٢ م.
https://0610gi11u-1104-y-https-search-mandumah-com.mplbci.ekb.eg/Record/730114

٣_ ر. د، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠١٥ م.
https://0610gi11u-1104-y-https-search-mandumah-com.mplbci.ekb.eg/Record/1043272

٤_ دار المعرفة، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٧ م.

٥_ دار المعارف، القاهرة، ط ٥، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م، ص ٣٦٨_ ٣٦٩.

ويبكيهم ويُمنِّي نفسه بظهور المهدي قائم الزمان؛ حتى ينشر العدل بين الناس، الذي لا تصلح الحياة بدونه..

٣_ د محسن غياض: التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول (١)

تناول المؤلف في ثلاثة أبواب كُلًا من الشيعة، نشأتها وفرقها، وعلاقة العباسيين بالعلويين، وشعر الشيعة موضوعاته، وخصائصه الفنية، وشعراء الشيعة.. مُنتهيًا إلى أن مدح عليّ وأبنائه وتقصِّي مناقبهم وسردها من الموضوعات المشتركة التي تناولها شعراءُ الشيعة، وحرصوا على القول بها، إضافة إلى رثاء الأئمة، والتوجع لما أصابهم من قتل وأذى، واضطهاد، وكان يتبع هذا الرثاءَ غالبًا مهاجمةُ أعداء العلويين والقسوة في هجائهم، ومحاولة إثارة الشعور بالنقمة والسخط عليهم، وكان حِجَاجُ الفرق الأخرى والرد عليها والتبشير بفكرة (المهدي المنتظر) وقرب ظهوره من الموضوعات المُمَيِّزة لشعر الشيعة في هذا العصر، ويمتاز شعرُ الشيعة من الناحية الفنية بسهولة ألفاظه، ووضوح معانيه، إضافة إلى ظهور المصطلحات الشيعية في هذا الشعر، كالإمامة، والوصاية، والغيبة، والرجعة، والمهدية، وما إليها، وانتشار (الأسلوب القصصي) البسيط في نظم فضائل الأئمة ومناقبهم، كما تبدو العاطفة جياشة واضحة في هذا الشعر..

٤_ د. مصطفى الشكعة: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين (٢)

فصَّل المؤلف حديثه عن الحمدانيين، وبلدان الشام والجزيرة ومعالمها، واللغة العربية والأدب، وموضوعاته بين الشعر التقليدي والشعر المتطوِّر والمتجدِّد، والمُحدَث، وقارن بين الشعر الحمداني وشعر الأمصار الإسلامية الأخرى، مُخصِّصًا مساحة من بحثه للحديث عن الزاهي (٣) بوصفه أحد المشتهرين بالتشيع الغالي، وكان يعمل قطَّانًا، وقد أمَّ سيفَ الله، وتأثر الزاهي ببيئته حلب فأنشأ يقول في الزَّهريات، ويتغزل في البنفسج، ويُفتن بالتشبيهات المُتوالية التي اصطنعها الحلبيون، متأثرًا بكل من المتنبي وديك الجن ونحوهما..

٥_ د. محمد شحادة عليان: المديح في بلاط سيف الدولة الحمداني (٤)

تحدث المؤلف، في أربعة فصول عن كل من الحمدانيين وسيف الدولة، والشعر والشعراء في بلاط سيف الدولة، واتجاهات المديح في بلاطه، والخصائص الفنية لشعر المديح في بلاط سيف الدولة (٥) وسلك أبا القاسم الزاهيَّ ضمن الشعراء الذين نظموا غُررَ القصائد في مدح سيف الدولة، مُترجمًا له ترجمة مُوجزة، لم تخرج عما قرأناه في تراجم القدماء والمعاصرين للزاهي..

١_ مطبعة النعمان، النجف بالأشرف، ١٩٧٣ م.
٢_ عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨١ م.
٣_ تنظر الصفحات: (١٥٦، ١٧١، ١٧٨، ٢٢٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٢٩، ٧٣٥، ٧٧٠).
٤_ دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م.
٥_ المديح في بلاط سيف الدولة، ص ١٢٦_ ١٢٧.

٦_ د. عبد المجيد الإسداوي: شعر علي بن إسحاق الزاهي تجلياتُهُ وبناؤُهُ التشكيليُّ (١)
تناول المؤلف حياة الشاعر، وسيرته، وأخباره، وديوانه، وتجليات شعره، وأبنيته التشكيلة، ملاحظًا أن شعره، الذي صحَّ له لم يتجاوز (٣٨٢) بيتًا، موزعة على (٤٩) قصيدة ومقطوعة، وبيت منفرد.. أما مضامينُ شعره فقد لخَّصها في كل من: المدح والرثاء والهجاء والاحتجاج للإمام عليّ وبنيه ومجادلة خصومهم، والاستنهاض، والشعر التعليمي، ووصف الطبيعة، والغزل.. كما لحظ أن اشتراك الشاعر مع غيره من شعراء الشيعة في العقيدة الدينية، والمذهب الكلامي والسياسي، ومصادر الثقافة قد دفعه دفعًا إلى عكوفه الدائم على أدواتهم التعبيرية نفسها، دائرًا في فلك ألفاظ قصائدهم، ومفرداتها، وصورها، وأساليبها..

٧_ د. الشحات غمري أحمد: النبي وصحبه في الشعر العربي (٢)

بنى المؤلف دراسته على خمسة فصول، فصَّل القول فيها عن كل من بناء الإنسان في الجاهلية والإسلام، والتشكيل الشعري للكمال المحمدي، والرؤى الشعرية لآل بيت النبوة، وصحابة النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ في منظور الشعراء، والخصائص الفنية للشعر في هذه الصفوة، وخصَّصَ مساحة من الحديث للزاهي وشعره (٣)

٧_ د. حازم سليمان الحلي: النبي وآله عليهم السلام في الشعر العربي (٤)

لخَّص المؤلف حديثه في شذرات ثاقبة عن كل من صورة النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ في الشعر العربي القديم والمعاصر، من خلال عرضه لبعض النصوص الشعرية التي جاءت في التصوير الفني الذي صاغه عشرات الشعراء القدامى والمعاصرين ..

٨_ د. إبراهيم العاتي: الظاهرة الحسينية في الشعر العربي (٥)

خصص المؤلف بحثه المكوَّن من خمسة فصول، فصله الأول للحديث عن الظاهرة الحسينية في الشعر العربي القديم، وخصائصها، والشعر الحسيني في الادب العربي القديم، مقدمًا إطلالات موجزة على تراجم أشهر الشعراء القدامى الذين سجلوا تلك الظاهرة، كما سجل منتجات من روائع الشعر الحسيني.

١_ مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة المنيا، المجلد التاسع والعشرون، سلسلة الإصدارات الخاصة، يوبو ١٩٩٨ م، ص ٨٧_ ٢٦٥.
٢_ مكتبة عرفات، الزقازيق، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.
٣_ ينظر مثلا الصفحات: (٢٤٣، ٢٥١، ٢٧٠، ٢٧٤) وغيرها..
٤_ مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م.
٥_ دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م.

أ_ الشاعر (١) وديوانه:

هو أبو القاسم، وأبو الحسن عليٌّ بن إسحاق بن خلف الشهير بالزاهي (بزاي مفتوحة وهاء مكسورة)، نسبة إلى قرية من قرى نيسابور، اسمها (زاه) (٢)، ويقال: إنما لُقِّب بذلك اللقب؛ لأنه كان أول من زَهَا في شعره (٣) ولم أجد فيما وصل إلينا من شعره ما يدل على ذلك .. ولذا فإنني أرجح تلقيبه بالزاهي للسبب الأول، وهو نسبته إلى قرية (زاه) التي ربما وُلِدَ بها ونشأ، ثم انتقل منها إلى بغداد فيما بعد ..

ومما يقوي ترجيحي هذا أننا لا نعرف في سلسلة نسبه بعد اسم جده (خلف) اسمًا آخر لعشيرته وقبيلته، فلم تكن نسبته إلى عشيرة، أو قبيلة، ينتمي إليها بقدر ما ينتمي إلى مسقط رأسه، وموطن نشأته (الزاه)، ثم نُسِبَ إلى المدينة التي قضى بها أكثر عمره، وهي (بغداد) فقيل (البغدادي) (٤) وإلى الإقليم الذي زاره فترات متقطعة، ومضى به بعض الوقت، وهو (حلب)، فقيل: الشامي..(٥)

١_ ينظر في ترجمته:
_ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: ١/ ٢٨٩_ ٢٩٢، وكتاب أحاسن المحاسن: ٣٨٦_ ٣٨٧، وتاريخ بغداد: ١١/ ٣٥٠، واللباب في تهذيب الأسماء: ١/ ٤٤١، وأنساب السمعاني: ٣/ ١٢٦، ومعالم العلماء: ١٨٢، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ٧/ ٥٩، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان: ٢/ ٣٤٩، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٣/ ٣٧١، والدر الفريد وبيت القصيد: ١/ ١٢١، ١٥٦، ٢٣٤، وكتاب الوافي بالوفيات: ١٤/ ١٦٩، ٢٠/ ٤٠٥، وكشف الحال في وصف الخال: ١٦٨، والبداية والنهاية: ١١/ ٢٧٢، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٤/ ٦٢، وسير أعلام النبلاء: ١١/ ١١١، ومجالس المؤمنين: ٤٥٩، وبحار الأنوار: ١٠/ ٢٥٥، ونسمة السحر بذكر من تشيع وشعر: ٢/ ٤٢٤_ ٤٢٦، ودائرة معارف البستاني، ٩/ ١٦١، وأعيان الشيعة: ٤١/ ٦٥_ ٦٦، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: ١/ ٦٨٠، والكنى والألقاب: ٢/ ٢٩١، وفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية: ١/ ٢٧٤، والطليعة من شعراء الشيعة: ٢/ ١٥_ ١٦، والذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٩/ ٢٠، والأعلام: ٤/ ٢٦٣، والغدير في الكتاب والسنة والأدب: ٣/ ٣٨٨_ ٣٩٨، وأدب الطف: ٢/ ٥١_ ٦٠، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٢/ ٩٦، وفنون الشعر في مجتمع الحمدانيين: ٥٦، ١٧١، ١٧٨، ٢٢٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٢٩، ٧٣٥،، ٧٧٠.. ، وتاريخ التراث العربي: ٢/ ٤/ ١٧٩_ ١٨٠، والمديح في بلاط سيف الدولة الحمداني: ١٢٦_ ١٢٧، ومعجم المؤلفين: ٢/ ٤٠٤، ومعجم الشعراء العباسيين: ١٩٢، ومعجم ألقاب الشعراء: ١١١، ومعجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي: ١٥٠، وموسوعة شعراء العرب: ٢/ ١٨٠، ومداخل المؤلفين والأعلام العرب: ٢١٥، ومعجم أسماء العرب: ١/ ١٧٢، ومعجم الشعراء منذ العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٥ م: ٣/ ٤٠٨_ ٤٠٩، ومعجم التراث الشعري المطبوع: ١٣٩، والكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه: ٤٦٠، (بقلم المحققين).. وديوانه: ٤_ ١٦ .. وغيرها..
٢_ معجم البلدان: (زاه)، ٣/ ١٢٩، وأنساب السمعاني: ٣/ ١٢٦، ووفيات الأعيان: ٣/ ٣٧٣..
٣_ أعيان الشيعة: ٤١_ ٦٥، وأدب الطف: ٢/ ٥١، ومعجم الألقاب والأسماء: ١٥٠، ومعجم أسماء العرب: ١/ ٧١٢، _وفيه: (من ز ه و)، وزن فاعل، وهو المتعاظم المتفاخر التائه، ومن سُمُّوا به عليّ بن إسماعيل الزاهي..)، وهو وهمٌ وقع فيه الكاتب، الذي انفرد بهذا النسب، فيما تيسَّرتْ لي قراءته من مصادر ومراجع..
_ومثل هذا ما وقع فيه أحمد بن عبد العزيز الربعي، في تحقيقه كتاب (المختارات الفائقة من الأشعار الرائقة)، لأبي محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الإصبع العدواني (ت ٦٥٤ هـ)، دار البشائر الإسلامية، ١٤٣٤ هـ/ ٢٠١٣ م، إذ قال في حاشيته ص ١٨٧: أبو القاسم بن علي بن إسحاق البغدادي..
٤_ أنساب السمعاني: ٣/ ١٢٦، وتاريخ بغداد: ١١/ ٣٥٠، وسير أعلام النبلاء: ١٦/ ١١١، والنجوم الزاهرة: ٤/ ٦٣، والكنى والألقاب: ٢/ ٢٦١_ ٢٦٢، ووفيات الأعيان: ٣/ ٣٧١، وكتاب الوافي: ٢٠/ ٤٠٥، ونسمة السحر: ٢/ ٤٢٤، وهدية العارفين: ١/ ٦٨٠، والطليعة: ٢/ ٥١، وعصر الدول والإمارات: الجزيرة العربية_ العراق_ إيران، ص ٣٦٩، والمديح في بلاط سيف الدولة: ١٢٦، ومعجم المؤلفين: ٢/ ٤٠٤، ومعجم ألقاب الشعراء: ١١١، ومعجم الألقاب والأسماء: ١٥٠، ومعجم أسماء العرب: ١/ ٧١٢، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٢/ ٩٧، عصر الدول: ٣٦٩..
٥_ معالم العلماء: ١٨٢.

ولا ينفي هذا صحة ما قرره الدكتور سامي مكي العاني من أنه عُرف بالزاهي؛ لأنه كان شاعرًا مُحسنًا كثير الملح.. (١)

ونقل شمسُ الدين أحمد بن خلكان (ت ٦٨١ هـ) عن عميد الدولة أبي سعد محمد بن الحسين الوزير (ت ٣٨٨ هـ) في كتابه (طبقات الشعراء) (٢)، أنه قال وُلد (الزاهي) يوم الاثنين، لعشر ليالٍ بقين من صفر سنة (٣١٨ هـ)..

وأشار غيره (٣) إلى انتقاله من مسقط رأسه إلى بغداد، في وقت باكر من شبابه، تاجرًا، للقطن في أحد الدكاكين المعروفة، حينذاك، والمعروفة في قطيعة الربيع بن يوسف حاجب الخليفة المنصور العباسي (٩٥_ ١٥٨ هـ)، ومولاه، ووالد وزيره الفضل بن الربيع (ت ٢٠٨ هـ)، وحدد ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) موقع هذه القطيعة بالكرخ، ومن قرية، كان يُقال لها: (بيا ورد) من أعمال (بادوريا) بالجانب الغربي من بغداد (٤)؛ ولذلك عُرف بالشاعر القطَّان.. (٥)

وبعد فترة من الزمن لا نعلم مداها رحل الزاهي إلى (حلب)، واتصل بسيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله الحمداني (ت ٣٥٦ هـ)، ومدحه؛ ولذلك سلكه كل من كارل بروكلمان (ت ١٣٧٦ هـ) (٦) ومصطفى الشكعة (ت ١٤٣٢ هـ) (٧) ومحمد شحادة عليان (٨) في عداد شعرائه.

وفي الوقت نفسه نلحظ أن الدكتور سعود محمود عبد الجابر قد تجاوزه، ولم يذكره في كتابه: (الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني) (٩)، والظاهر أنه لم يَحْظَ برضا سيف الدولة عنه؛ فلم يُقِم عنده إلا أوقاتًا مُتَقَطِّعة (١٠)، ثم عاود المقام بين وقت وآخر، بعاصمة الخلافة (بغداد) يمدح الحسن بن محمد المعروف بالوزير المهلبي (ت ٣٥٢ هـ)، ويحظى برضاه (١١)، مُخصِّصًا الجزء الأكبر مما وصل إلينا من شعره في أهل بيت النبوة مدحًا ورثاءً، وعلى الرغم من الشهرة النسبية التي حققها الشاعر في الأماكن التي عاش فيها، وأنشد شعره، وزاول مهنة التجارة _صمتت المصادرُ والمراجعُ التي ورد ذكره بها عن كل من أسرته ووالديه، وزوجه، وأبنائه، وقبيلته، وأحواله المعيشية.. وإن أشار

١_ معجم ألقاب الشعراء: ١١١.
٢_ وفيات الأعيان: ٣/ ٣٧١.
٣_ تاريخ بغداد: ١١/ ٣٥٠، والبداية والنهاية: ١١/ ٢٧٢، والنجوم الزاهرة: ٤/ ٦٣، والأعلام: ٤/ ٢٦٣، وتاريخ التراث العربي: ٤/٢/ ١٧٩، ومداخل المؤلفين: ٣١٥.
٤_ معجم البلدان: بادوريا، ١/ ٣١٧.
٥_ تاريخ بغداد: ١١/ ٣٥٠، والبداية والنهاية: ١١/ ٢٧٢، والنجوم الزاهرة: ٤/ ٦٣، والأعلام: ٤/ ٢٦٣، وتاريخ التراث العربي: ٤/٢/ ١٩٧_ ١٨٠، ومداخل المؤلفين: ٢١٥.
٦_ تاريخ الأدب العربي: ٢/ ٩٧.
٧_ فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين: ١٥٦، ١٧١، ١٧٨، ٢٢٦، ٧٠٧، ٧٢٩، ٧٣٥، ٧٧٠، ٨٠٨.
٨_ المديح في بلاط سيف الدولة الحمداني: ١٢٦_ ١٢٧.
٩_ مؤسسة الرسالة: بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م.
١٠_ تاريخ الأدب العربي: ٢/ ٩٧.
١١_ وفيات الأعيان: ٣/ ٣٧١، وتريخ الأدب العربي: ٢/ ٩٧.

بعضُها إلى أنه كان من غلاة الشيعة .. (١) وسلكه محمد بن علي بن شهراشوب (ت ٥٨٨ هـ) ضمن المجاهرين من شعراء أهل البيت.. (٢)

ونقل ابن خلكان عن عميد الدولة بكتابه (طبقات الشعراء) أن الزاهي تُوفي يوم الأربعاء، لعشر بقين من جمادي الآخرة، سنة (٣٥٢ هـ) (٣) وحددها الدكتور مصطفى الشكعة، بسنة (٣٥٦ هـ) (٤)، وتردد كل من فؤاد سزكين (٥) وعفيف عبد الرحمن (٦) في تحديدها بين سنتي (٣٥٢ هـ) و (٣٦٠ هـ)..

وقال الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) (٧): قال لي التنوخي: مات الزاهي بعد سنة (٣٦٠ هـ)، وحددها كل من ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) (٨) وابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) (٩) وابن تغري بردي (ت ٨٧٤٤ هـ)، (١٠)، وغيرهم في سنة (٣٦١ هـ). (١١)

وفي ظل صمت المصادر والمراجع عن الكشف عن جوانب حياة الشاعر في أُخريات عمره، وعدم علمنا بما آل إليه في أحوال معيشته المتأخرة؛ فإننا مضطرون، اضطرارًا، إلى الإيمان بصحة هذه الأخبار المختلفة، كلٍ على حدة، حتى نقف على جديد، في هذا الشأن..

وأيًا كانت السنة التي انتقل فيها الزاهي إلى رحاب الله؛ فقد دُفن بمدافن قريش، ببغداد (١٢) مما كان يُعرف، حينذاك بالمشهد الكاظمي، أو مدينة الكاظمية (١٣).. ولعل دفنه بمدافن قريش، يدفعنا إلى بعض الظن بأنه كان قرشيًا أو مولى لأحد القرشيين، في عصره.. والأيام جديرة بالكشف عن أسباب ذلك، وغيره، مما نحتاج معرفته، بهذا الشأن، إن شاء الله ..

ديوان الزاهي:

١ـ نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر: ٢/ ٤٢٤ـ ٤٢٦، وأعيان الشيعة: ٤١/ ٦٥ـ ٦٦، والكنى والألقاب: ٢/ ٢٩١، وفوائد الرضوية: ١/ ٢٤٧، والطليعة: ٢/ ٣٣٨ـ ٣٩٨، والذريعة: ٩/ ٢٠، والغدير: ٣/ ٣٨٨ـ ٣٩٨، وأدب الطف: ٢/ ٥١ـ ٦٠، وتاريخ التراث العربي: ٢/ ٤/ ١٧٩ـ ١٨٠، وفنون الشعر في مجتمع الحمدانيين: ١٧١..

٢ـ معالم العلماء: ١٨٢.

٣ـ وفيات الأعيان: ٣/ ٣٧١.

وينظر أيضًا: سير أعلام النبلاء: ١٦/ ١١١، ومرآة الجنان: ٢/ ٣٤٩، وأعيان الشيعة: ٤١/ ٦٥، وهدية العارفين: ١/ ٦٨٠، والغدير: ٣/ ٣٩١، وتاريخ المشهد الكاظمي: ٢٥٧، ومعجم أسماء العرب: ٢/ ٧١٢، ونسمة السحر: ٢/ ٤٢٤ـ ٤٢٦، ومعجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة (٢٠٠٥ م)، ٣/ ٤٠٨، وأدب الطف: ٢/ ٥١، ومعجم الألقاب والأسماء المستعارة: ١٥٠، ومعجم المؤلفين: ٢/ ٤٠٤، وتاريخ الأدب العربي: ٢/ ٩٦، ومداخل المؤلفين: ٢١٥..

٤ـ فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين: ١٥٦.

٥ـ تاريخ التراث العربي: ٢/ ٤/ ١٧٩.

٦ـ معجم الشعراء العباسيين: ١٩٢.

٧ـ تاريخ بغداد: ١١/ ٣٥٠، وينظر: أنساب السمعاني، ٣/ ١٢٦، واللباب: ١/ ٤٩١، والغدير: ٣/ ٣٩١.

٨ـ المنتظم: ٧/ ٥٩.

٩ـ البداية والنهاية: ١١/ ٢٧٢.

١٠ـ النجوم الزاهرة: ٤/ ٦٢..

١١ـ معجم التراث الشعري المطبوع: ١٩٣، عصر الدول والإمارات: الجزيرة العربية_ العراق_ إيران، ص ٣٦٩.

١٢ـ وفيات الأعيان: ٣/ ٣٧١ـ ٣٧٣، ونسمة السحر بذكر من تشيع وشعر: ٢/ ٤٢٤، وأدب الطف: ٢/ ٥١ وما بعدها، ومعجم المؤلفين: ٢/ ٤٠٤.

١٣ـ معجم المؤلفين: نفسه، والشيخ محمد حسن آل ياسين: تاريخ المشهد الكاظمي، م. المعارف، بغداد، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م، ص ٢٥٧..

أشارت بعض المصادر إلى أن محمد بن عبيد الله بن أحمد الكاتب النصيبي (ت ؟) كان يحفظ فرائد من شعر الزاهي، ويُنشدها في محافل الأدب والشعر المعروفة بمجتمعه الذي كان يعيش فيه.. (١)، وكان أبو نصر بن المرزبان (ت ؟) ممن نقلوا نصوصًا من شعر الزاهي إلى أبي المنصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) (٢) .. الذي يطالعنا بمقولته الشهيرة، في هذا الشأن، ونصها: "لم يقع إليَّ شعره (الزاهي) مجموعًا، وإنما تطرَّفتُه من أفواه الرواة، واستفدتُه من التعليقات". (٣)، وفي الوقت نفسه نجد أن الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) يقول: "أحسب شعره قليلًا". (٤)

ونقل ابن خلكان، في خبره، الذي أسلفناه، أكثر من مرة، أن عميد الدولة أبا سعيد بن عبد الرحيم بن محمد (ت ٣٨٨ هـ) أحد وزراء جلال الدولة (ت ٤٣٥ هـ) ذكر الزاهي في كتابه (طبقات الشعراء) مشيرًا إلى أن شعره (في أربعة أجزاء) (٥) وهي الإشارة التي نقل إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ) (٦) وغيره (٧) مضمونها..

ولم ينص أحد من القدامى والمعاصرين، صراحة، أو ضمنًا باسم جامع هذا الشعر المكون من أربعة أجزاء، ولا عصره، ولا مصير هذا الديوان المجموع.. مما يجعل هذه الإشارة في حاجة إلى من يثبر أغوارها، والبحث في مكنونها، مع الأيام، بإذن الله..

وفي عصرنا قام الشيخ/ محمد بن طاهر السماوي (١٢٩٢ هـ/ ١٨٧٦ م_ ١٣٧٠ م/ ١٩٥٠ م) (٨)، بجمع ما تيسر له من قصائد الزاهي ومقطوعاته، مما أُنشد في حب آل البيت (رضي الله عنهم)، مدحًا ورثاءً..

ويقع هذا الديوان في ست ورقات، عدا صفحتي العنوان الأمامية والخلفية، متضمنًا (٣٧٢) بيتًا، وتحتفظ به مكتبة آية الله الحكيم بالنجف، تحت رقم (٦١٢) (٩)، كما تحتفظ مكتبة معهد المخطوطات العربية بمصورة منها تحمل الرقم (١٤٥٩/ أدب) (١٠)

١_ تاريخ بغداد: ١١ / ٣٥٠، وأنساب السمعاني: ٣/ ١٢٦، واللباب: ١/ ٤٩١، والمنتظم: ٧/ ٥٩.
٢_ يتيمة الدهر: ١/ ٢٨٩_ ٢٩٠.
٣_ يتيمة الدهر: ١/ ٢٨٩.
٤_ تاريخ بغداد: ١١/ ٣٥٠.
٥_ وفيات الأعيان: ٣/ ٣٧١.
٦_ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: ١/ ٦٨٠.
٧_ معجم الشعراء العباسيين: ١٩٢.
٨_ روفائيل بطي: الأدب العصري في العراق، أو النجفيات، م. الغرى الحديثة، النجف، ١٩٥٤ م، ٩/ ٤٧٥_ ٥٠٤.
٩_ محمد مهدي نجف: فهرس مخطوطات مكتبة الإمام الحكيم العامة بالنجف الأشرف، م. الآداب، النجف، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م، ٢/ ٢٩.
١٠_ منير محمد المدني: فهرست المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، الجزء الأول: (الأدب)، مراجعة د. محمد مرسي الخولي، ط. المعهد، القاهرة، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م، ٣/ ١١١.
ويُنظر مثلها: ميخائيل عواد: مخطوطات المجمع العلمي العراقي ببغداد، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م، ٢/ ٣٢٥_ ٣٢٦.

وعلى هذه النسخة اعتمد الدكتور عبد المجيد الإسداوي، في تحقيق هذا الديوان، وذيله بما تيسرت له مطالعتُه في بعض المصادر الأخرى (١) وقدَّم له بدراسة عن سيرة الشاعر وأخباره وشعره، والموضوع الشعري في ديوانه، والخصائص الفنية لشعره (ص ٣_ ٥٤) وذيله ببعض الفهارس الفنية للمصادر والمراجع، والآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والكلمات المأثورة، والأشعار والأعلام، والشعراء، والأماكن والبلدان، والأيام، والوقائع، والمحتويات.. ونشرته مكتبةُ عرفات بالزقازيق، سنة (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م) في (٢٥١) صفحة من القطع المتوسط.. وقد اعتمدتُ على هذه النشرة في إقامة بحثي هذا..

١_ الصفدي: الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه، حققه وعلق عليه/ د. هلال ناجي ووليد أحمد الحسين، إصدارات الحكمة، بريطانيا، ١٤٢٠ ه/ ١٩٩٩ م، ص ٤٦٠، بقلم المحققين، ود. سامي مكي العاني: معجم التراث الشعري المطبوع رئاسة ديوان الوقف السني، جمهورية العراق، ٢٠٠٥ م، ص ١٣٩.

المهاد التنظيري:

شهدت الساحة النقدية _الغربية والعربية على السواء_ في العقدين الأخيرين من القرن العشرين قفزة هائلة في مقاربة النصوص الأدبية وتحليلها، استحوذ فيها النص على جل اهتمامات الدارسين، فبرزت نظريات نصية تختلف مفاهيمها من منهج نقدي إلى منهج نقدي آخر.

و "إذا كانت الاتجاهات البنيوية المعاصرة قد أعلت من سلطة النص Text، ولم تُعِرْ اهتمامًا مماثلا لبقية العناصر والعوامل التي تقع خارجه، كالمؤلف والقارئ والواقع الخارجي والتاريخي، فإن الاتجاهات المسماة ب(ما بعد البنيوية) Post Structuralism قد أعلت من سلطة القراءة والقارئ، بل راح النقد الأدبي نفسه يعد ضربًا من القراءة.. فركزت معظم الاتجاهات الجمالية والشكلية على النص الأدبي ذاته وبالذات بوصفه بنية لغوية". (١)

فدور القارئ إذا في المنهج البنيوي خاضع كليًا لسلطة النص ذاته، لكن سلطة النص المطلقة هذه لم تستمر طويلا، إذ ظهرت المفاهيم النقدية التي تؤكد مدى دور "القارئ" في العملية الإبداعية، وخروجه من حيز الاستهلاك إلى براعة الإنتاج، ومن هنا استطاعت الاتجاهات النقدية التي أعقبت البنيوية، ومنها التفكيكية، من تحويل القارئ من تابع لشفرات النص إلى منتج حقيقي للنص، فالاتجاه التفكيك ينظر إلى القارئ إذًا بوصفه منتجًا للنص؛ وهو وحده القادر على منح المعنى له، هذا العمل يتوقف على طبيعة القارئ ذاته، ومستوى مؤهلاته الثقافية والذوقية، وكذا على طريقته الخاصة في القراءة.

وعلى هامش سلطة القراءة نشأت حركة نقدية أخرى هي التناصية Intertextuality التي تذهب إلى أن النص المعين لا يمكن فهمه دون الرجوع إلى عشرات النصوص التي سبقته، وشاركت في خلقه.. ويحاول مفهوم التناص أن يقيم علاقة مشروعة بين النص والموروث، ويكون دور القارئ حاسمًا في هذا المجال؛ فهو الذي يستحضر النصوص السابقة، أو يكتشفها بوعيه داخل النص المقروء؛ وهناك من يحاول إقامة علاقة تناص خاصة بفاعلية القراءة ذاتها حيث الإحالة مستمرة إلى قراءات سابقة. ومن هنا فإن القراءة الإبداعية تعيد إنتاج النص المقروء على ضوء سلسلة من التعالقات التناصية المتشابكة، ويتم ذلك على جدلية الحضور والغياب، حضور الدال وغياب المدلول، ودور القارئ في استحضار المدلول الغائب". (٢)

١_ فاضل ثامر: من سلطة النص إلى سلطة القارئ، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد ٤٨، فبراير ١٩٨٨ م، ص ٨٩_ ٩٠.
٢_ نفسه: ص ٩٢.

وظهر "التناص" ليؤدي دورًا مهما في الدرس النقدي الحديث، لكونه "وسيلة تواصل لا يمكن أن يحصل القصد من أي خطاب لغوي بدونه، إذ يكون هناك مرسل بغير متلق متقبل مستوعب مدرك لمراميه، وعلى هذا فإن وجود ميثاق، وقسطٍ مشتركٍ بينهما من التقاليد الأدبية، ومن المعاني ضروري لنجاح العملية التواصلية". (١)

وقد بدأ مفهوم (التناص) "Intertextuality"مع جوليا كريستيفا Julia Kristeva تلميذة العالم الروسي _باختين_، فقد تنبهت إلى قضية التناص في دراستها الشعرية، من خلال عدة أبحاث كتبتها بين عامي ١٩٦٦_ ١٩٦٧ م، ونشرت في مجلة تيل كيل (Tel Quel) وكرتيل، ثم أعيد نشرها ضمن كتابيها سيموتيك (Semeotik)، ونص الرواية (Letexteu romoun)، وفي مقدمة كتاب ديستوفسكي لباختين؛ فالنص من منظور (جوليا) ليس حلقة مغلقة معدومة الانفتاح على النصوص الأخرى، وإنما حلقاته مرنة إلى درجة ضرورة التداخل والتقاطع لإنتاج ما هو جديد.(٢)

وكل نص، عندها، هو عبارةٌ عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، فتقول: "إن كل نص يتشكل من تركيبة فسيفسائية من الاستشهادات، وكل نص هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى" (٣) توضح "أن التناص يندرج في إشكالية الإنتاجية النصية التي تتبلور كـ: عمل النص" (٤) وهو "نص منتج" (٥)، "وكل نص هو تشرّب وتحويل لنصوص أخرى" (٦)، بمعنى أن النص يتشكل من خلال عملية "إنتاج" من نصوصه المختلفة، ثم التقى حول هذا المصطلح عدد كبير من النقاد الغربيين، وتوالت الدراسات حول التناص، وتوسع الباحثون في تناول هذا المفهوم، وكلها لا تخرج عن هذا الأصل..

وإن كان لا يخلو هذا الرأي من عثرات، فالتناص ليس مجرد امتصاص، أو تحويل، لنصوص أخرى سابقة عليه، كما تذهب كريستيفا، وإنما هو أبعد من ذلك بكثير، وتطور هذا المصطلح فيما

١ _ محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، وبيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢ م، ص ١٣٤ _ ١٣٥.
وينظر: د. حسين منصور العمري: إشكالية التناص (مسرحيات سعد الله ونوس نموذجًا)، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، ص ١٣.

٢ _ ينظر: مارك أنجينو: التناصية، ضمن كتاب (دراسات في النص والتناصية)، لمحمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م، ص ٥٩ _ ٦٠.

3 _Johnathan Culler: Structuuralist poeties، cornell Univ. press. Ithaca, N.Y. 1975, p. 139.
عن كتاب كريستيفا

J. Kristeva: Semiotike, Seui, Paris, 1969, p. 146.

٤ _ تزفتان تودورف، رولان بارت، امبرتو اكو، مارك انجينو: في أصول الخطاب النقدي، ترجمة وتقديم أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ١، ١٩٨٧ م، ص ١٠٢.

5 _Textual Strategies. Ed. Josue Harari, Cornell Univ. press, Ithaca, N.Y. 1975, p. 39.

٦ _ عبد الله محمد الغذّامي: الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية - قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٤، ١٩٩٨ م، ص ٣٢٥.

بعد على يد رولان بارت Roland Barthes ، ومارك انجينو Mare Angenot ، وميشيل فوكو Michel Foucault ، وامبرتو ايكو Umberto Eco .. وغيرهم (١)

وقد حاولت نظرية التناص أن تجعل القارئ "يملك النص ويدرك بنيته في جمله بما تحمله من علامات وشفرات؛ ولم تحاول رصد موقف المنشئ؛ لأنها اكتفت بالتفاعل النصي الداخلي والخارجي، وبالتفاعل الذاتي في شكلين أفقي وعمودي على المستوى العام والخاص. ويكفي المنشئ أنه قال النص، فلا أبوة له". (٢)

ومما يؤكد أهميّة التناص الكبرى في فهم مرجعية العملية الشّعرية والوقوف على الاتّجاهات الثّقافية، والتّاريخية، والنفسية، والاجتماعية، التي تُمثّل وعي الشّاعر وإدراكه أثناء الإبداع، فاستيعاب الماضي وما يتعلّق به من جوانب ثقافية وفكرية وغير ذلك، يمكّن الشاعر بلا شك من الوصول إلى مرحلة النّضج الفكري والثقافي، من ثمَّ يصل إلى التّميّز في الإبداع، وفي هذا يقول علي جعفر العلاّق: "إنّ الذّاكرة الشّعرية بئرٌ طافحةٌ حتّى القرار بخزين لا ينتهي من القراءات المنسية والواعية، ولا تتمّ كتابة القصيدة بمعزل عن تلك البئر الغاصّة بخزينها المتلاطم، فهي ليست نتاجا تلقائيا، وإنما هي عملٌ يستندُ إلى خميرة من الخبرات والقراءات التي تنتشرُ في ثنايا النّص، لتتجسّد بعد ذلك عبر مراياه المتشكّلة صياغةً وأبنية و تقنيات" (٣)

إنَّ مفهوم النص مفهوم إشكالي؛ لأن طابعه المتغير، والتشكيلات التي يتمظهر من تعريفه مهمة صعبة، وبوصفه سيرورة تواصلية، فإن العديد من أنماط التواصل تتنازع حوله، وتحاول أن تجره إلى حقلها وتوظفه توظيفا إجرائيا، فجوليا كريستيفا J.Krestiva تنظر إلى النص على أنه "جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان (langue) عن طريق ربطه بالكلام التواصلي، راميا بذلك إلى الإخبار المباشر مع مختلف أنماط الملفوظات السابقة والمعاصرة". (٤)

كما أنه" جهاز عبْرَ لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه ". (٥) فهي إذا تعتبر النص إنتاجية Productivite وعلاقته باللسان علاقة هدم وبناء.

أما رولان بارت (R.Barthes) فيعرف النص بقوله ":إن الدراسة المعجمية للكلمة تكشف على أنها تدل على النسج، ومن هنا يمكن أن نقول إنَّ نسج الكلمات يعني تركيب نص .. إنَّه نسيج من

١_ ينظر: أحمد الزعبي: التناص نظريا وتطبيقيا، ص ١١٢_ ١٢٠.
٢_ ينظر: عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير، ص ٥٩، وسعيد يقطين، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٢، ٢٠٠١ م، ، ص ١٢٣_ ١٢٦، وحسين جمعة: نظرية التناص_ صك جديد لعملة قديمة، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج ٧٥، ج ٢، ٢٠٠٠ م، ص ٣٦١.
file:///C:/Users/kamal/Downloads/0691-075-002-003.pdf
٣_ الشعر والتلقي_ دراسة نقدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط ٢، ٢٠٠٢ م، ص ١٣١.
٤_ سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص ١٩.
٥_ جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، ١٩٩١ م، ص ٢١.

الكلمات ومجموعة نغمية وجسم لغوي ". (١) فبارت شبَّه النص بالنسيج الذي يتخذ حجابا يكمن وراءه المعنى.

أما جاك دريدا Jacques Derida فيقترح تصورا جديدا للنص يعتمد على تاريخ الفلسفة، فالنص عنده نسيج لقيمات أي تداخلات، وهو لعبة منفتحة ومنغلقة في آن، والنص لا يملك أبا واحدا ولا جذرا واحدا، وإنما هو نسق من الجذور، فالنص دائما من هذا المنظور له عدة أعمار".(٢)

أما الباحث السيميولوجي امبرتو ايكوا U.Eco "فيركز على الخصائص الصوتية في النص الأدبي، وعلى العلاقات الاستبدالية القائمة على محور التركيب وعلى الدلالات الإشارية والإيمائية".(٣)

ونخلص من كل ما سبق ذكره، بأن النصَّ" وحدة كبرى شاملة لا تضمها وحدة أكبر منها، وهذه الوحدة الكبرى تتشكل من أجزاء مختلفة تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي، ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي، ويتكون المستوى الأول الأفقي من وحدات نصية صغرى تربطها علاقات نحوية، ويتكون المستوى الثاني الرأسي من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية، ومن ثم يصعب أن يعتمد في تحليل النص على نظرية بعينها، وإنما يمكن أن تتبنى نظرية كلية، تتفرع إلى نظريات صغرى تحتية تستوعب كل المستويات". (٤)

وقد تعددت مفاهيم النص بتعدد التوجهات المعرفية والنظرية والمنهجية المختلفة، وعليه فإن الاختلاف حول ماهية النص يكمن أساسا في اختلاف التصور، والغاية من دراسته؛ فحدود النص ومفهومه يتبلور وفق تلك المنطلقات العديدة.

إنَّ التناص هو"الذي يهب النص قيمته ومعناه، ليس فقط لأنّه يضع النص ضمن سياق يمكِّننا من فض مغاليق نظامه الإشاري ويهب إشارته وخريطة علاقاته معناها، ولكن أيضا لأنّه هو الذي يمكننا من طرح مجموعة من التوقعات عندما نواجه نصًا ما، وما يلبث هذا النص أن يشبع بعضها وأن يوّلد في الوقت نفسه مجموعة أخرى وهكذا". (٥)

من هنا نكتشف البؤرة المزدوجة للتناص "إنّه يلفت اهتمامنا إلى النصوص الغائبة والمسبقة وإلى التخلي عن أغلوطة استقلالية النص، لأنّ أي عمل يكتسب ما يحققه من معنى بفضل ما كُتِب قبله من نصوص. كما أنّه يدعونا إلى اعتبار هذه النصوص الغائبة مكونات لشفرة خاصة يمكّننا وجودها

١_ حسين خمري: نظرية النص، من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٧ م، ص ٤٤.
٢_ سارة كوفمان وروجيه لابورت: مدخل إلى فلسفة جاك دريدا_ تفكيك الميتافيزيقا واستحضار الأثر، ترجمة إدريس كثير وعز الدين الخطابي، الدار البيضاء، ١٩٩٩، ص ٨٣.
٣_ سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، ص ١٨.
٤_ ينظر: سعيد حسين بحيري: علم لغة النص، الشركة العالمية للنشر لونجان، مكتبة لبنان ناشرون، ط ١، ١٩٩٧ م، ص ١١٩.
٥_ صبري حافظ: التناص وإشاريات العمل الأدبي، مجلة عيون المقالات، المغرب، العدد ٢، ١٩٨٦ م، ص ٩١.
https://archive.alsharekh.org/MagazinePages/MagazineBook/Ouyon_AL_Makalat/sana_1986/Issue_2/index.html

من فهم النص الذي نتعامل معه وفض مغاليق نظامه الإشاري، ازدواج البؤرة هنا هو الذي يجعل التناص نوعا من توصيف العلاقة المحددة التي يعقدها نص ما بالنصوص السابقة، ولكنه يتجاوز ذلك إلى الإسهام في البناء الاستطرادي والمنطقي لثقافة ما، وإلى استقصاء علاقاته بمجموعة من الشفرات والمواصفات التي تجعله احتمالا وإمكانية داخل ثقافة ما، والتي تبلور احتمالات هذه الثقافة". (١)

ومع هذا فإن التناص "لا يعني أن يقوم الشاعر بإعادة معاني الشعراء السابقين أو اجترار تراكيبهم، بل عليه أن يُحْدِث في تلك المعاني والأبنية إضافاته وتحويراته الخاصة ليجعل منه جزءًا من رؤياه الشخصية إزاء الكون والشعر والحياة، وعنصرًا من عناصر نبرته وأسلوبه". (٢)

فالنص هو إنتاجية، مما يعني "أنه ترحال للنصوص، وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة، مقتطعة من نصوص أخرى". (٣)

وقد شاع هذا المصطلح في الستينات من القرن الماضي، وعُرِف أو ظهر، كما يشير أغلب الدارسين، على يد الباحثة جوليا كريستيفا Julia kristiva في عام ١٩٦٦ م، في مقالاتها عن السيميائية والتناص، في مجلتي (Tel-Quel) و (Critique). (٤)، وترى جوليا كريستيفا رائدة هذا المصطلح، أن التناص "هو النقل لتعبيرات سابقة أو متزامنة وهو "اقتطاع" أو "تحويل" ... وهو عينة تركيبية تجمع لتنظيم نصي معطى التعبير المتضمن فيها أو الذي يحيل إليه". (٥)

ثم لجأ رولان بارت "R.Barthes" وعلى أثره لوران جيني "L.Jenny" إلى استخدام مصطلح جوليا كريستيفا نفسه بعد حصره وتقييده بالتحويلات المتبادلة بين نصوص عائدة إلى جنس أدبي بذاته، أو أي فن آخر، وفي حين اقترح تزفتان تودوروف "T.Todorv" "تفجير مصطلح التناص إلى اثنين: (الحواريّة) بالمعنى الذي حدده باختين كحوار بين لغات أو مستويات للكلام مختلفة، و (التناص) بالمعنى الحصري للمفردة كتبادل بين عدة نصوص مؤلفين عديدين". (٦) ولقد أصبح التناص بمعناه الحصري الذي انتهى إليه يدل على ما سمّاه لوران جيني بالتحويلات التي يمارسها "نص مُمركِز" على ما يتشرّبه من خطابات متعدّدة، ورأى أن التناص هو "النص الذي يمتص عددًا واسعًا من النصوص مع بقائه مركّزًا على معنى". (٧)

١_ صبري حافظ: التناص وإشاريات العمل الأدبي، ص ٩٣.
٢_ علي جعفر العلاق: الدلالة المرئية، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م، ص ٦٥
٣_ جوليا كريسطيفا: علم النص، ص ٢١.
٤_ ينظر:
Textual Strategies. Ed. Josue Harari, Cornell Univ. press, Ithaca, N.Y. 1975, p. 39.
٥_ تزفتان تودورف، رولان بارت، امبرتو اكو، مارك انجينو: في أصول الخطاب النقدي، ص ١٠٢.
٦_ كاظم جهاد: أدونيس منتحلا -دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة، يسبقها: ما هو التناص؟ مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣ م، ص ٣٦.
٧_ مارك دو بيازي: نظرية التناص، ترجمة المختار حسني، مجلة علامات في النقد، عدد ٣٤ ، ١ ديسمبر ١٩٩٩ م، ص ٢٤٨ . انظر: كاظم جهاد، أدونيس مُنْتحِلاً، ص ٣٦.
https://archive.alsharekh.org/MagazinePages/MagazineBook/ALamat_fe_alnqd/ALamat_fe_alnqd_1999/Issue_34/index.html

وهنا نرى أن تعريفه يحتوي على بعد التحويل، أما ميشيل أريفيه M.Arrive فيُقدم تعريفًا للتناص أوسع من تعريف لوران جيني، ويرى أنّه "مجموع النصوص التي تجد نفسها في علاقة تناص". (١)، أي أنه هنا يؤكد أهمية العلاقات وليس التحويلات.

وتأتي مرحلة الثمانينيات من القرن الماضي بمفاهيم وتنقيحات جديدة على مصطلح" التناص"، إذ اتسمت هذه المرحلة – كما يصفها د. عمر عبدالواحد – بغزارة الإصدارات التي اهتمت بمفهوم التناص، خصوصًا ما بين ١٩٧٩ م، ١٩٨٢ م، وتأتي في طليعة هذه الإصدارات إسهامات ميشيل ريفاتير M.Reffaterre وأنطوان كومبانيون A.Compagnon وجيرار جينيت G.Genette ، ولقد اهتم ريفاتير بالتناص في كُتبه "سيميائية الشعر" ١٩٧٨ ، و "التعالق النصي" ١٩٧٩ م، وأثر التناص" ١٩٧٩ م، و "إنتاج النص" ١٩٨٣ م، وانتهى إلى أن التناص يُعدّ أساسًا للكشف عن أدبية النصوص. (٢) وهو خير مُمثِّل للقراءة المُنْتِجة لدلالاتها، ويُعرّف التناص بقوله: "هو ملاحظة القارئ لعلاقات بين عمل أدبي وأعمال أخرى سابقة أو لاحقة عليه". (٣) وعلى صعيد التطبيق استعمل ريفاتير مفهوم التناص "في حدود الأداة الأسلوبية والسيميائية. (٤)

ويتوسّع مفهوم التناص النظري عند ريفاتير حيث درس شكلا من أشكال التناص في كتابه "إنتاج النص "هو "التلميح" وقد عاب عليه بعض النقاد مثل جيرار جينيت وفرانسيس غوييه كونه يرى التلميح في كل شيء، ويرى غوييه أن بعض الجامعيين قد تحوّلت لديهم _ويذكر ريفاتير_ الدراسات التناصية إلى نوعٍ من "إبراز العضلات الثقافية".(٥)

ويرى بارت أن النص الذي يقدمه المبدع هو نتاج تفاعل نصوص لا حصر لها مخزونة في ذهن المبدع، فالتناص الذي يدخل في كل نص لا يمكن أبدا أن يعد أصلا للنص؛ لأن البحث عن أصول للأثر والمؤثرات التي خضع لها رسوخ لأسطورة السلالة والانحدار أما الاقتباسات التي يتكون منها النص فهي مجهولة الاسم، ولا يمكن ردها إلى أصولها ومع ذلك سبقت قراءتها، إنها اقتباسات لا تقدم نفسها لذلك ولا توضع بين أقواس.. (٦)

١_ انظر: عمر عبدالواحد، التعلّق النصّي، ص ٧٠ وما يليها.
٢_ السابق: التعلّق النصّي، ص ٧٨.
٣_ دو بيازي: نظرية التناص، ص ٢٤٩.
٤_ نفسه: ص ٢٥٠.
٥_ كاظم جهاد، أدونيس مُنْتحِلاً، ص ٣٨.
٦_ ينظر: رولان بارت: درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، تقديم عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣ م، ص ٦٣.

وقد وجّه رولان بارت نقده إلى مفهوم التناص وآلياته وقوانينه، ولهذا لم ترد لفظة "التناص" بوصفها مصطلحًا نقديًّا في كتاباته إلا في كتابه "لذة النص" ١٩٧٣ م، ويتكرر ذكره للتناص في كتابه "درس السيميولوجيا " ١٩٧٨م، واعتبر التناص تشكيلة من الاقتباسات يتكوّن منها النص، ويرى أن التناص ليس إلا تضمينًا بغير تنصيص.. (١)

فكل (نص) عند بارت هو (تناص) وإن النصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة وبأشكال ليست عصيَّة على الفهم؛ إذ فيها نتعرف نصوص الثقافة السالفة والحالية، فكل نص _عنده_ ليس إلا نسيجا جديدًا من استشهادات سابقة. و (التناصية) عند بارت هي قدر كل نص، مهما كان جنسه، ولا تقتصر على التأثر فحسب". (٢)

ولكنّ مفهوم التناص توسّع وفُتحت آفاقه أكثر على يد جيرار جينيت الذي اقترح مصطلحًا جديدًا سمّاه "التعالي النصي" (Transtextualite)، ويعني عنده كل ما يجعل نصًّا يتعالق مع نصوص أخرى بشكل مباشر أو ضمني"، ويُعرِّف جيرار جينيت في دراساته النص بوصفه (طرسًا) (Palimpseste)أو "النص الممحو"، وقد حمل كتابه "أطراس" عنوانا فرعيًّا هو "الأدب من الدرجة الثانية"، وهو الذي أنهى حالة الفوضى حول مفهوم التناص من خلال نقله من اللسانيات إلى علم الأدب، ولم يعد بمقدور مستخدمي التناص استعمال المصطلح بمنأى عن النقد". (٣)

وهكذا وجدنا أن صيغة التناص في الخطاب النقدي الغربي لم تكن موحّدة، كما أنّ مفهومه متغير من ناقد إلى آخر، فمنهم من ضيّق مفهومه، ومنهم من وسّعه، ومنهم من عدَّه نمطًا من أنماط التعالقات والتعاليات النصية كما هو عند جيرار جينيت، كما نجد لوران جيني يستخدم مصطلح "التطعيم التناصي"، وميشيل شنايدر M.Schneider يستبدل في كتابه "سارقو الكلمات ١٩٨٥" مصطلح "تناص" بصيغ أخرى تُبرز علاقات التعارض أو امتلاك الآخر التي تُمَارس في الأدب، فعبارة "نص بدل آخر" تُشير إلى السرقة، و "نص مثل آخر" تُشير إلى المعارضة، وكما هو الحال عند ميخائيل باختين، فإن التغيير بالنسبة إليه مفهوم أساسي في التناص، إلا أنه يُستخدم هنا لغايات تأويلية .وقد أسهم كتابه مساهمة فعالة من أجل القياس النظري للمتطلبات العميقة للتناص عبر عملية تعميم مفهوم السرقة الأدبية، على أشكال التأثير والتناص كلها. (٤)

ويتّضح من خلال ما تقدّم كيف تطوّر مفهوم التناص وتعدّدت أنماطه وما شابه من تقاطعات واختلافات وتَعدّد في الصياغة والمفهوم والدلالة والرؤية في الخطاب النقدي الغربي، أمّا في الخطاب

١_تركي المغيض: الاشتباك النصي في شعر يعقوب الرشيد، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية، الكويت، ٢٠١٧ م، ص ١٦.
٢_ النص الغائب: ص ٣٣.
٣_ تيفين ساميول: التناص ذاكرة الأدب، ترجمة نبيا غزاوي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٧ م، ص ١٧.
٤_ ينظر: السابق: ص ٢٤_ ٢٦.

النقدي العربي فالإشكالية كانت أكبر، لأن المصطلح مستورد وليس ابن البيئة، ولهذا لم يتفق النقاد والباحثون العرب على صيغة لفظية أو ترجمة موحّدة لمصطلح "التناص"، وبالرغم من أنّ لفظة "التناص" قد اكتسبت شرعيتها اللغوية حيث يوجد في معجم "لسان العرب" تحت مادة "نصص" عبارة "تناصّ القوم" بمعنى اجتمعوا وازدحموا، وهذا يعطي الشرعية اللغوية للتناص، أي يغدو بمعنى اجتماع النصوص وازدحامها.

أما الشرعية الاصطلاحية له فقد استمدها من شيوع المصطلح وكثرة استعماله وانتشاره، ولكن رغم ذلك كله برزت له صيغ ومقابلات كثيرة نتيجة اختلاف فهم النقاد العرب المعاصرين الذين بحثوا في التناص، ونتيجة للتفاوت الحاصل من الترجمة غير الموحّدة لمصطلح التناص، فمنهم من اعتمد على آراء نقاد غربيين، ومنهم من اجتهد واقترح صيغًا جديدة، ومنهم من نحت مقابلا له، فقد ورد بعدة صياغات وترجمات، منها: التناص أو التناصية، والنصوصية وتداخل النصوص أو النصوص المتداخلة، والنص الغائب ويقابله النص الراهن أو الحاضر، والنصوص المهاجِرة والمهاجَر إليها، وتضافر النصوص، والنصوص الحالّة والمُزاحة(الإحلال والإزاحة)، وتفاعل النصوص، والتضمينات، وتناسل النصوص وتناسخها، وتعالق النصوص. (١)

ولعل ذلك كله يعود إلى أن، الأول يتعلق بالترجمة المتعددة لمصطلح التناص "لأن الخطاب النقدي العربي هو مجرد مستقبل لهذا المصطلح، ومن هنا ظهرت التعدّدية في الصياغة والتشكيل، أما الأمر الثاني فيعود إلى أن مفهوم التناص ودلالاته وقوانينه وآلياته واشتقاقاته تتغير فهمًا وتوسعًا من ناقد إلى آخر، كما اتضح من خلال ما قدّمناه من إضاءة عن تطور مفهوم التناص وأشكاله وأنماطه لدى النقاد الغربيين.

"وبالدرجة التي نركز فيها على صاحب النص أو المنتج وشروطه ومؤهلاته، فإننا يجب ألا نفصل دور المتلقي في هذا الجانب، فينبغي أن يكون على قدر من الوعي والثقافة.. ولذلك حمَّل بعض النقاد المتلقي بعض المسئولية في إشكالية مفهوم التناص، وهذا ما جعل مفتاحًا يقول: "أن هناك مؤشرات تجعل التناص يكشف عن نفسه ويوجه القارئ للإمساك به، ومنها: التلاعب بأصوات الكلمة والتصريح بالمعارضة، واستعمال لغة وسط معين، والإحالة على جنس خطابي برمته ". (٢)

ويُشير حسين جمعة إلى اتّجاهين في التّناص: اتّجاه خارجي يتمثّل في الإرث الثقافي الذي يفد إلى المبدع من كل مكان، وفي كل زمان، غير عابئ بالحدود المكانية و الزمانية، وعليه أن يتكيف مع هذا الإرث آخذا منه ما يحتاج إليه، ومكوناً صورًا مستمدة منه لكنها مغايرة له، ويدخل فيه

١_ انظر: تركي المغيض، التناص في معارضات البارودي، مجلة أبحاث اليرموك، م ٩، ع ٢، ١٩٩١ م ، ص ٨٩ وما يليها. وانظر أيضًا، تركي المغيض: مصطلح التناص ومشتقاته في حقل الترجمة إلى العربية مجلة ترجمان، م ٦، ع ٢، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، طنجة المغرب، ١٩٩٧ م ،ص ٧٣_ ٩٧.

٢_ محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): ص ١٣١

(التناص الخارجي والداخلي) سواء أكان النص قديماً أم مُعاصراً.. ومهما كانت طبيعة الآلية المستخدمة في ذلك رمزًا أو إشارة؛ تلميحاً أو تصريحاً، استشهاداً أو أخذاً وتضميناً، ترصيعاً أو تصريعًا (١)، وتحكمُ كل مبدعٍ مجموعة من النّصوص والثقافات، يتكيّف معها بناءً على طباعه الشّخصية ويشيع هذا النّوع من التّناص لما يتّصف به من وعي كامل بالنُصوص السابقة.

وهذا لا يعني أن نهمل تلك الإشارات الهائلة التي تتشكل في منطقة اللاّوعي عند المنتج، فكل نص على ما يحتويه من إبداع هو نسيجٌ من الاستشهادات والنّصوص السّابقة، وكل منتج أو مبدع حسب رولان بارت" يكتب منطلقاً من لغته التي ورثها عن سالفيه؛ والكتابة هي شيء يتبناه الكاتب، وهذا الرأي لا يختلف كثيرًا عما عرض له عبد القاهر، في فهم اللغة واستدعاء كل ما يحتاج إليه منها للقيام بعملية تحويل جديدة لإنتاج نص إبداعي جديد، مرتبط بالجذور، فالرّؤية الدّقيقة إلى هذه المقولة تنبئ بأن شعراء العربية لم يخرجوا عن ذلك، فتداخل النصوص في ضوء الاتجاه الخارجي، وفي ضوء لغتهم الموروثة أساس انبثاق تجربتهم الإبداعية في حالتي المماثلة والمخالفة.(٢)

وقد آثرت الباحثة استخدام مصطلح (التفاعل النصي)؛ لكونه يؤدي معنى (التداخل) و (المفاعلة)؛ ليؤكد الثراء غير المحدود الذي تنطوي عليه عملية التفاعل النصي، "فالنصوص تبقى في تفاعل دائم مع النصوص الأخرى، هذا التفاعل الذي يضمن استمرارية قراءة النص، باختلاف مستوى قرائه، فالنص "يُنتَج ضمن بنية نصية سابقة، وهو يتعالق بها، ويتفاعل معها، تحويلًا، أو تضمينًا، أو خرقًا، وبمختلف الأشكال التي تتم بها هذه التفاعلات". (٣)، وذلك من خلال الوقوف على آليات التفاعل النصي الآتية: التفاعل النصي الديني، والتفاعل النصي مع الأحداث التاريخية، والتفاعل النصي الشعري، وأخيرًا التفاعل النصي الفكري والكلامي..

الجانب التطبيقي:

المبحث الأول: التفاعل النصي الديني في شعر الزاهي:

١_ التفاعل النصي مع النص القرآني.

٢_ التفاعل النصي مع الهدي النبوي الشريف.

٣_ التفاعل النصي مع بعض أقوال الصحابة.

المبحث الثاني: التفاعل النصي التاريخي في شعر الزاهي.

المبحث الثالث: التفاعل النصي الشعري في ديوان الزاهي.

المبحث الرابع: التفاعل النصي الفكري والكلامي.

١_ حسين جمعة: المسْبار في النّقد الأَدبي (دراسة في نقد النقد للأدب القديم والتناص)، ص ١٥٦.
٢_ ينظر: السابق، ص ١٥٣.
٣_ محمد عزام: النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي_ دراسة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١ م، ص ٥٥.

المبحث الأول: التفاعل النصي الديني في شعر الزاهي:

تقصد الباحثة بالتفاعل النصي الديني، علاقة بعض أشعار الزاهي ببعض النصوص الدينية، سواء أكانت تلك النصوص نصوصًا قرآنية أم نصوصًا من الأحاديث النبوية الشريفة، مستفيدًا منها، موظِّفًا إياها توظيفًا يصقل تجربته الفنية، مع تحديد الباحثة لكيفية استفادة الزاهي من تلك النصوص، والحكم عليها حكمًا علميًا موضوعيًا، من خلال الإجابة عن هذا التساؤل: هل أجاد الزاهي من خلال تفاعله النصي هذا؟ أم اكتفى بمجرد النقل فقط؟ وهو ما سيكشف عنه الجانب التطبيقي من هذا البحث إن شاء الله..

أولاً: التفاعل النصي مع القرآن الكريم:

وتقصد الباحثة بالتفاعل النصي مع القرآن الكريم، كيفية تفاعل الزاهي مع بعض ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، وكيف وظّف تلك الألفاظ والمعاني القرآنية في شعره؟ سواء كان هذا التفاعل النصي تفاعلا نصيًا لفظيًا بحرفه، من خلال اقتباسات حرفية تفاعلات لغوية مع عدد من آيات الذكر الحكيم، أم تفاعلًا نصيًا إيحائيًا، نابعًا من ثقافة الشاعر الدينية وتشربه لتلك النصوص، وهضمها، وصهرها في أشعاره.

وتعدّ هذه الخاصية من أكثر المجالات انتشارًا عند الشعراء، إذ إن ثقافة الشاعر الدينية والبيئة المحافظة تساهم بقدر كبير في تكوين شاعريته وتوهجّه الديني، فيعمدُ الشاعر إلى الاسترشاد بالقرآن الكريم واستلهام معانيه، وقد حرص الزاهي كغيره من شعراء عصره على التفاعل النصي مع آيات الذكر الحكيم، سواء كان هذا التفاعل النصي تفاعلًا لفظيا مباشرًا مع ألفاظه، أو تفاعلًا مع معانيه، وقد بدا هذا التفاعل النصي القرآني واضحًا من خلال رثائه لآل بيت النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ بصفة عامة، ورثائه للإمام عليّ _رضي الله عنه_ بصفة خاصة، متفجعًا حزينا على ما أصابهم من صنوف العذاب، من ذلك قوله: (١)

فهُمُ النخلُ باسقاتٌ كما قال سَــوامٍ لَهُنَّ طَلْعٌ نَضِيدُ
وهُمُ في الكِتَابِ زيتونةُ النو رِ وفيها لكُل نَــارٍ وَقُودُ

ونلاحظ في البيتين السابقين تفاعلا نصيًا، تناص الشاعر من خلاله مع بعض ألفاظ القرآن الكريم تناصًا لفظيًا، مستوحيا لفظتي "باسقات" و "نضيد" من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ (٢)، كما استوحى معنى البيت الثاني من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ

١_ الديوان: ص ٦٣.
٢_ سورة ق: الآية ١٠.

مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ .(١)

فالشاعر هنا يستغل طاقات التفاعل النصي ليؤكد من خلالها سمو منزلة مرثييه، وشرف منبتهم، فهم كـ (النخل الباسقات) التي لها (طلع نضيد)، إضافة إلى الإخبار عن سمو هؤلاء الأعلام النبلاء بأنهم (زيتونة النور)، التي تضيء للعالمين طريقهم، عن طريق السير على خطاهم الشريفة.

ف (النخل الباسقات) و (الطلح المنضود) و (زيتونة النور)، كلها مفردات ومصطلحات قرآنية نجح الشاعر في توظيفها توظيفًا يثري معجمه الشعري، ويكشف عن قدرته في تفاعل معانيه وألفاظه مع ألفاظ المعجم القرآني، هذا ولم ينقل الشاعر النص القرآني بلفظه، وإنما أجرى تعديلا لهذا السياق القرآني بما يتناسب مع تجربته الشعرية والموسيقية، مستبدلًا لفظة "لها" ب "لهن" حتى يستقيم الوزن، وقد أضفى هذا التفاعل النصي، مع هذه الأقباس القرآنية على النص الشعري ثراء فنيًا ودلاليًا تغذيه نفحات القرآن العظيم، ومعجمه الدلالي واللغوي المُعجِز.

كما تفاعل الشاعر في قوله: (٢)

وذاكَ أن إلهَ العرشِ قالَ لَـــهُ :بَلِّغْ وكُنْ عندَ أمْرِي خيرَ مَأمورِ
وإن عصيتَ ولمْ تَفْعَلْ فإنكَ مَا بَلَّغْتَ أمرِي ولم تَصْدَعْ بتذكِيرِي!!

مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. (٣)

فالشاعر في هذين البيتين يتفاعل تفاعلا نصيًا مع فحوى الآية الكريمة، تفاعل معنى، ففحوى الآية الكريمة أن الله _سبحانه وتعالى_ أمر نبيه _صلى الله عليه وآله وسلم_ أن يبلغ رسالته، دون خوف، أو تردد من خلال فعل الأمر "بلِّغْ"، وهو الفعل ذاته الذي استخدمه الزاهي في بيته الأول، بينما جاء البيت الثاني ليحمل الشق الثاني من الآية الكريمة، وهو عدم الامتثال لأوامر الله _سبحانه وتعالى_، وتبليغ رسالته، ولكن استبدل الشاعر الفعل (لم تفعل) بالفعل (عصيت)؛ ليدل على مدى عِظَم الفعل وجُرمه، في حالة الامتناع عن التبليغ؛ لأنه مأمور أن يبلّغ الناس بكل ما أمِرَ به من رب العزة تبارك وتعالى.

١_ سورة النور: الآية ٣٥.
٢_ الديوان: ص ٨٨.
٣_ سورة المائدة: الآية ٦٧.

كما تفاعل الزاهي تفاعلا نصيا مُضمنًا، في قوله: (١)

فقلتُ قـالَ أحمـــدُ وقولُــهُ لا يُجْحَـــدُ

أوحـــى إليهِ الصَّمَـدُ لا يمترِيهِ العَـــاقِلُ

فقولُـــه مهمـــا رَوَى لمْ يَكُ نُطْقَاً عن هَوَى

بل عن شديدٍ فِي القُوَى كذا الكِتـــابُ النَّازِلُ

مع مضمون الآية الكريمة في سورة النجم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾. (٢)، فقد وصف الشاعر في هذه الأبيات النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ بالأوصاف التي وصفه الله _عز وجل_ بها، فهو الذي لا ينطق عن الهوى، وإنما ينطق عن شديد القِوى ، وجاء التفاعل النصي في هذه الأبيات، مع بعض آيات الذكر الحكيم في سورة النجم؛ ليكشف عن جانب من جوانب عظمة النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_، فهو الصادق في قوله وفعله، إذ إنه لا ينطق عن الهوى، تفاعلًا نصيا لفظيًا مباشرًا، كما في قوله: "شديد في القوى"، "لم يك نطقًا عن هوى"، وإذا كان الزاهي قد استعان هنا ببعض ألفاظ القرآن الكريم المُباشرة، فإنه نجح كذلك في تضمين البعض الآخر، من خلال إشارته الضمنية إلى "القرآن الكريم" من خلال قوله: "الكتاب النازل"، الذي وصفه الله سبحانه وتعالى_ بأنه "وحيٌ يُوحى"، مزاوِجًا في براعة، بين التصريح والتلميح، والاسم (القرآن) ودلالاته (الكتاب)..

كما تفاعل الزاهي تفاعلا نصيًا مباشرًا، في قوله: (٣)

فأنزلَ اللهُ تعالى (هَلْ أَتَى) وذَكَرَ الجَّزَاءَ فِي ذَاكَ وَقَصَّ!!

ذاك الذي آثر في طعامه على صيامه وجـاد بالقرص

مع قوله تعالى في سورة الإنسان: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ (٤)، وهو تفاعل نصي لفظي، استقى فيه الزاهي ألفاظ بيته من الألفاظ الواردة في الآية الكريمة، في قوله: فأنزل الله تعالى (هل أتى)، هذا التفاعل النصي الذي أثرى بلا شك أدوات معجم الشاعر اللغوي والدلالي، فالشاعر يشير في هذين البيتين إلى قصة النذر، التي نذر فيها الإمام _رضي الله عنه_ وزوجته فاطمة _رضي الله عنها_، نذرا لله على شفاء الحسن والحسين، فشفاهما الله ووفى الصادقان ونوه بذلك القرآن في سورة الإنسان، والإشارة إلى مكرمة الإمام على وآل بيته وإيفائهم بالنذر، والإيثار الفريد من قِبل الإمام عليّ، وزوجه فاطمة الزهراء _رضي الله عنهما_، بتقديمهما ما رزقهما الله _سبحانه وتعالى_ من طعام، برضا نفسٍ، لكل من يطرق بابيهما من اليتامى والمساكين والأسرى،

١_ الديوان: ص ١٣٣.
٢_ سورة النجم: الآية ٣_ ٥.
٣_ الديوان: ص ١٠٥.
٤_ سورة الإنسان: الآية ١.

والتنويه بثوابهم الجزيل عند الله سبحانه، فأنزل الله؛ تكريمًا لهما ولفعلهما، وحيًا يُتلى إلى يوم الدين، مؤكدا جزاءهم الحسَنَ الذي نالاه من الله _عز وجل_، والمكانة العظيمة التي فازا بها من جرَّاء هذا الفعل، الذي تؤكده الآيات الكريمة، في قوله تعالى: "إِنَّ الأبرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كأسٍ كانَ مزاجُها كَافُوراً". (١) ويختتم بقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وكَانَ سعيكُم مشكُوراً﴾. (٢) وتفاعل الزاهي تفاعلا نصيًا مع بعض ألفاظ القرآن الكريم، في قوله: (٣)

في يوم تتلُو النَّفسُ مَا قَدَّمَتْ لعادلٍ فِي الحُكْمِ جَبَّـــارِ
والنارُ في الموقفِ قد سُعِّرَتْ لأخذِ نُصَّـــابٍ وفُجَّــارِ!!

مع بعض مشاهد يوم القيامة المهيبة، كما صورها القرآن الكريم، من خلال قوله _عز وجل_: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا، اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (٤)، وقوله _جلَّ شأنه_: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ (٥)، وقوله _تبارك وتعالى_: ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ (٦) .. وغيرها من الآيات القرآنية التي تصف هول يوم القيامة، التي نجح الزاهي في التفاعل معها، من خلال هذين البيتين، مؤكدًا من خلالها حسن ثواب مناصرة آل البيت النبوي الشريف، وهو الفوز بالجنة ونعيمها الخالد.

وقد تفاعل الشاعر في هذين البيتين تفاعل معنى، من خلال موازنة ضمنية بين حالتي الخير والشر، ففي البيت الأول يتفاعل الشاعر تفاعلًا ضمنيًا، مع مضمون الآية الكريمة: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ (٧)، مؤكدًا أن كل نفس تعلم ما تقدِّمه من خير، بمجرد أن تقف أمام العادل الحكم الجبار _جلَّ شأنه_، وفي المقابل تعلم النفس الفاجرة، ما اقترفته من آثام، وهو ما رصده الشاعر في البيت الثاني، متفاعلا مع مضمون، قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ (٨)، مستخدمًا اللفظ القرآني (سُعِّرَت)، أي أُوقِدت فأُضْرِمَت للكفار وزِيدَ في إحمائها؛ ليصوَّر مدى العذاب والعقاب الرادع، لكل فاجر كفَّار..

١_ سورة الإنسان: الآية ٥.
٢_ سورة الإنسان: الآية ٢٢.
٣_ الديوان: ص ٩١.
٤_ سورة الإسراء: الآية ١٣_ ١٤.
٥_ سورة المزمل: الآية ٢٠.
٦_ سورة التكوير: الآية ١٢.
٧_سورة الانفطار: الآية ٥.
٨_ سورة التكوير: الآية ١٢.

كما تفاعل الزاهي مع معجم ألفاظ القرآن الكريم، في قوله: (١)

أبو تُرابٍ حَيْـدَرهْ ذاكَ الإَمَامُ القَسْوَرَهْ

تفاعلًا لفظيا مباشرًا، مع مفردات قرآنية، تؤكد مدى نجاحه في تحقيق مُراده، من خلال استخدامه للفظ "قسورة"، والقسورة هو الأسد، كما ورد في كتابه _عز وجل_ في سورة المدثِّر: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (٢) في وصف قوة الإمام عليّ _رضي الله عنه_، وبأسه، من خلال الغزوات والحروب التي خاضها وأبلى فيها بلاءً حسنًا، فهو كالأسد يفر من أمامه خوفًا ورهبة.

كما تفاعل الزاهي تفاعلًا نصيًا، في قوله: (٣)

أَيُجْعَلُ سيدُ الثقلينِ شبهَـًا لِمَا لا يرتضيهِ لَهُ غُلَامَا ؟!

مع معجم الألفاظ القرآنية، في لفظ "الثقلين"، وهما الإنس والجن، تفاعلًا نصيًا لفظيًا، مع قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾ (٤)، مؤكدًا من خلالها أفضلية الإمام عليّ _رضي الله عنه_ على غيره، فلا شبيه يشبهه؛ لكونه _رضي الله عنه_ سيدَ الإنس والجن، ومبالغة الزاهي واضحة هنا، فقد غالى في وصف الإمام عليّ _رضي الله عنه_، وتفضيله، حتى جعله سيدًا للإنس والجن، وهو ما يتفق مع ما ورد في الحديث الشريف، عن الأعمش عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري أن النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_: "قال: إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما". (٥)

وقال الزاهي معرِّضا بالسيدة عائشة _رضي الله عنها_، مشيرًا إلى آيتي النهي عن التبرج، قائلا: (٦)

كَمْ نُهِيَتْ عَنْ (تَبَـرُّجٍ) فَعَصَتْ وَأَصْبَحَتْ لِلْخِلَافِ مُتَّبِعَهْ

قالَ لها اللهُ: (فِي البيوتِ قِرِي) فَخَالَفَتْهُ التَّقِيَّةُ الوَرِعَهْ!!

فقد تفاعل الزاهي تفاعلا نصيًا، مع قوله تعالى في خطاب نساء النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا* وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾. (٧)

١_ الديوان: ص ١٣٤.
٢_ سورة المدثر: الآية ٥١.
٣_ الديوان: ص ١٩٦.
٤_ سورة الرحمن: الآية ٣١.
٥_ فضائل الصحابة: ج ٢، ص ٧٧٩.
٦_ الديوان: ص ١١٨.
٧_ سورة الأحزاب: الآية ٣٢_ ٣٣.

وقد بدا التفاعل النصي في هذين البيتين واضحا، من خلال تفاعل الشاعر اللفظي المباشر، مع ألفاظ القرآن الكريم ومصطلحاته، من خلال استخدامه للفعلين ذوي الدلالة المعجمية القرآنية "وقرن" والفعل "لا تبرجنَّ" مستبدلا الجمع في الأولى بالمفرد، لقصديته امرأة بعينها، وهي السيدة عائشة _رضي الله عنها_، كما سيأتي ذكرها تفصيلًا في الصفحات القادمة بإذن الله، كما استبدل الفعل المضارع المنفي "لا تبرجن" بالمصدر "تبرُّج" مُتبِعًا إياها بالفعل "عصت" للدلالة على عِظَم ما حدث، والشاعر هنا نجح في توظيف آلية التفاعل النصي لتأكيد بعض آرائه ومعتقداته، مشيرًا إلى خروج السيدة عائشة _رضي الله عنها_، مع كل من الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله _رضي الله عنهما_، بجمع من الصحابة، بعد مبايعة الإمام عليّ _رضي الله عنه_، بما عُرِف بموقعة (الجمل) عام ٣٦ هـ.

ثانيًا: التفاعل النصي مع الهَدي النبوي الشريف:

تقصد الباحثة بالتفاعل النصي مع الحديث، اقتباسات الزاهي من بعض الأحاديث النبوية الشريفة، والسيرة النبوية العطرة، الذي بدا جليا من خلال تلك القصائد التي مدح فيها الإمام عليّا _رضي الله عنه_ وآل بيته الأطهار.

فقد نهل الزاهي من الهدي النبوي الشريف كما نهل من أقباس القرن الكريم، متفاعلًا مع بعض ألفاظ الهَدْي الشريف وبعض معانيه، مما شكل دعائم قوية تؤكد حب الشاعر لآل البيت بصفة عامة، وعلي بن أبي طالب _رضي الله عنه_ وزوجه _رضي الله عنها_ بصفة خاصة_، فها هو يقول في قصيدة مطلعها: (١)

أقيمَ نَجْمٌ للخِلافـــــةِ حَيْـــدَرُ ومِنْ قَبْلُ قالَ الطُّهْرُ مَا ليسَ يُنْكَرُ
غداة دعاهُ المُصطفَى وهْوَ مُزْمِـعُ لقصدِ (تَبُوكٍ) وَهْوَ للسيْرِ مُضْمِرُ
فقالَ: أقِمْ عَنِّى بطيبـــةَ واعْلَمَنْ بأنكَ للفُجَّـــــارِ بالحقِ تَقْهَـــرُ
ولما مَضَى الطُّهْرُ النبيُّ تَظَاهَرتْ عليهِ رِجَـالٌ بالمقـــالِ وأَجْهَرُوا
فقالُوا: عليٌّ قدْ قَـــلَاهُ محمـــدٌ وذاكَ من الأعــداءِ إِفْكٌ ومُنْكَــرُ
فأتبعَهُ دُونَ (المُعَـــرَّسِ) فانْثَنَى وقـالُوا: عَلِيٌّ قد أتَـــى فتأخَّـرُوا
ولمَّا أبـــانَ القـــولَ عَمَّنْ يقولُه وأبدَى له ما كان يُبْدِي ويُضْمِـرُ
فقالَ: أمَا تَرْضَى تكـونُ خَليفَتِي كهـارونَ مِنْ مُوسَى وشأنُكَ أَكْبَرُ؟

١_ الديوان: ص ٧٥.

وقد نجح الزاهي في هذه الأبيات أن يتفاعل تفاعلا نصيا، مع القرآن الكريم والحديث الشريف، إذ تفاعل مع مضمون الآية الكريمة، التي جاءت لتذكر دعاء سيدنا موسى _عليه السلام_ في أن يكون له وزيرٌ من أهله، متمثلا في أخيه هارون؛ ليكونا معا أمام فرعون جبار الأرض في زمانه؛ وقد قال في ذلك :كما جاء في قوله تعالى: "واجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كثيرًا ونَذْكُرَكَ كَثِيرًا ". (١)

كما تفاعل مع قوله _صلى الله عليه وآله وسلم_ "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي". (٢)، فيؤكد الشاعر من خلال هذه الأبيات مدى تشريف النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ لعليّ _رضي الله عنه_، إذ جعل منزلته كمنزلة هارون من موسى، وهو المعنى الذي يدل عليه بيته الأخير، فلا يكتفي الشاعر بتضمين معنى الحديث، وإنما يضيف إليه قوله: "شأنك أكبر" وكأن الشاعر لا يقنع بمنزلة هارون من موسى، فيزيد عليها بوسم الإمام عليّ _رضي الله عنه_ بأن شأنه ومنزلته من النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ أكبر وأسمى!!

كما تفاعل الشاعر في قوله: (٣)

وقال رسولُ اللهِ: هذا إمامُكُم لهُ اللهُ نَاجَى: أيُّها المُتَحيّرُ !!

تفاعل معنى، مع قوله _صلى الله عليه وسلم_: "أنت منّي بمنزلةِ هارون مِنْ موسى، غير أنه لا نبيَّ بعدي" (٤)،،يؤكد الشاعر من خلاله ما أوردته كتب التاريخ والسنة النبوية من تشريف النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ للإمام عليّ _رضي الله عنه_ عندما تقوَّل عليه بعض المنافقين، لمَّا دعاه النبي _عليه الصلاة والسلام_ غداة غزوة تبوك (٩هـ)، للإقامة، بالمدينة المنورة، نائبا عنه، ذاهبين إلى أنه _صلى الله عليه وآله وسلم_ قد حمل في قلبه شيئا ما تجاه الإمام علي _رضي الله عنه_، وهو الزعم الباطل الذي دحضه النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ بحديثه السالف الذكر.

كما تفاعل تفاعلا نصيًا مع هذا المعنى كذلك في مربعته، في قوله: (٥)

صَيَّـــرهُ هَارُونَـــه فِي قومِـه أمينَـــهُ
وقـــد قَضَى ديونَـه ولـم يكُنْ يُماطِـــلُ
ذاك وَصِيُّ المصطَفَى إن غدَر القومُ وَفَـا
وأكلُـــه الطيرَ مَعَـــهْ إذا النبيُّ اسْتَطْلَعَـهْ

١_ سورة طه: الآية ٢٩.
٢_ صحيح مسلم: ٤/ ١٨٧٠.
٣_ الديوان: ص ٧٥.
٤_ ينظر: سنن ابن ماجه: ١/ ٤٢_ ٤٣، صحيح مسلم: ٤/ ١٨٧٠_ ١٨٧١، الجامع الصحيح: ٥/ ٦٤١، صحيح البخاري: ٣/ ١٥..
٥_ الديوان: ص ١٣٣.

ففي البيت الأول يتفاعل الزاهي تفاعل معنى، مع قوله _صلى الله عليه و آله وسلم_: "أنتَ منِّي بمنزلة هارونَ من موسى، إلا أنَّه لا نبيَّ بعدي". (١)، مؤكدا من خلاله تشريف النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ لعليّ بن أبي طالب _رضي الله عنه_ تشريفًا يعلو تشريف موسى لأخيه هارون، هذا التشريف الذي أكده البيت الثاني أيضا، فقد اصطفاه النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_، دون غيره من أهله وصحابته، في قضاء دينه، متفاعلا تفاعل معنى أيضًا، مع ما أورده ابن شهراشوب، في قوله: " لما هاجر النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ إلى المدينة استخلف عليًا في أهله وماله، فأمره أن يؤدي عنه كلَّ دينٍ، وكلَّ وديعة، وأوصى إليه بقضاء ديونه، قائلًا: عليٌّ مني وأنا منه، ولا يقضِي عنِّي ديني إلا أنا أو عليٌّ". (٢)

كما تفاعل الزاهي في البيت الثالث تفاعلًا نصيا لفظيًا، مع ما نسب من أحاديث موضوعة على لسان المصطفى _صلى الله عليه وآله وسلم_: "لكل نبي وصى ووارث وعلى وصى ووارثي". (٣) وهو ما حرص الزاهي على تأكيده في مواضع مختلفة من ديوانه، أما في البيت الأخير فقد تفاعل الزاهي تفاعلا نصيًا، مع ما رواه أنس بن مالك _رضي الله عنه_، عن النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_، قائلًا: "كان عند النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ طير، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير فجاء عليّ، فأكل معه". (٤)

وفي خطابه الذي يتوجه به إلى الإمام على بن أبى طالب _رضى الله عنه_ يقول: (٥)

يا سيدِي يـا ابنَ أبِي طَالِبٍ يا عِصْمَةَ اللاجِئ والجَّارِ
لا تَجْعَلَنَّ النارَ لِـي مَسْكَناً يَا قاسِمَ الجَنَّةِ والنَّـارِ !!
يا سَاقِيَ الشيعةِ مِنْ كَأْسِهِ عندَ وُرُودِ الكَوْثَرِ الجَّارِي

يتفاعل الشاعر في هذه الأبيات مع قول النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_: "على قسيم النار" (٦) تفاعلًا لفظيًا مباشرًا، من خلال استخدامه لألفاظ المعجم النبوي الشريف، دون إيماء أو مواربة، مستفيدًا من ألفاظ المعجم النبوي الشريف، وما فيه من بلاغة وفصاحة وبيان، لإثراء قاموسه الشعري، بتلك المعاني والألفاظ النبوية الشريفة؛ ليؤكد من خلاله ما ذهب إليه البعض من تفسيرها بأن المراد، أن ولاية عليّ _رضي الله عنه_، تُدخِل الجنة، ورفضها يُدخِل النار؛ مؤكدًا من خلالها مناصرة آل البيت النبوي _رضوان الله عليهم أجمعين_ وما يترتب على ذلك من فوز بالجنة ونعيمها، وكوثرها العذب، الذي يشرب منه عباد الله المخلصون، في المقابل يتوعد كل من امتلأ قلبه حقداً وكرهًا لآل

١_ صحيح مسلم: ٤/ ١٨٧٠_ ١٨٧١، سنن ابن ماجه: ١/ ٤٥، وسنن الترمذي: ٥/ ٦٤١.
٢_ المناقب: ٢/ ١٥١، ويُنظر أيضا: سنن ابن ماجه ١/ ٤٤.
٣_ ينظر: الذهبي: أحاديث مختارة من موضوعات الجوزقاني وابن الجوزي، ٦٥.
٤_ سنن الترمذي: ٥/ ٦٣٦ – ٦٣٧.
٥_ الديوان: ص ٩١.
٦_ رواه ابن شهراشوب في مناقبه: مناقب عليّ بن أبي طالب، ٢/ ١٨١.

البيت الكريم، بالنار وعذابها الشديد، في يقين منه بعدل الله _سبحانه وتعالى_ بين خلقه، فكل يُجزى بعمله.

كما لا يخفي على قارئ الديوان تفاعل الشاعر تفاعلًا نصيًا في قوله: (١)

مَنْ فَرضَ المُصطفَى وِلَاهُ علَى الـ خَلْقِ بيـومِ الغَدِيـرِ إِذْ رَفَعَهْ

مع ما روي عن النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_: "إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلى مولاه (ثلاثاً)، مَنْ كنتُ مَولاه، فعليّ مولاه، اللهم والِ من والاهُ، وعادِ مَنْ عاداه". (٢)، والشاعر هنا يتفاعل تفاعل معنى مع الحديث لا لفظه، فما أراده الشاعر هنا هو تأكيد "الولاية" للإمام عليّ _رضي الله عنه_ مختصًا بها، وهو ما أكده الزاهي في موضع آخر، في قوله: (٣)

إذ قال أحمدُ في يومِ الغديرِ لَـــهُ بالنقلِ في خبرٍ بالصِدْقِ مَأْثُـورِ
"قُمْ يَا عليُّ فَكُنْ بَعْدِى لَهُمْ عَلَمَـاً واسعَدْ بمنقلَبٍ في البَعْثِ مَحْبُورِ

يشير الشاعر هنا إلى ما ورد عن النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ لما قضى مناسك الحج، في العام العاشر، بعد الهجرة، وفى يوم الخميس، الثامن عشر من ذي الحجة، وقف عند (غدير خُم)، وخطب في الناس، قائلاً: "أيها الناس، من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاهُ وعادِ من عَادَاهُ". (٤)

وهو ما أكده كذلك في قوله: (٥)

ذاكَ الذِي استوحشَ منـــه أَنَسٌ أنْ يَشْهَدُ الحَقَّ فشـــاهَدَ البَرَصْ
إذ قالَ: من يشهدُ بالغديـــرِ لِي فبـــادَرَ السامِـعُ وَهْـوَ قَدْ نَكَصْ
فقالَ: أُنْسِيتُ، فقـــالَ: كـاذِبٌ سَوفَ تَرَى ما لَا توارِيـــه القُمُصْ
يا ابن أَبِي طالبِ يَا مَنْ هُوَ مَنْ خاتمُ الأنبياءِ فِي الحكمـــةِ فَصٌّ
فضلُك لا يُنْكَـــــرُ لكِنَّ الوِلَا قد ساغَه بعضٌ وبعضٌ فيهِ غَصٌّ

يتفاعل الشاعر في هذه الأبيات تفاعل معنى، مع واقعة سؤال الإمام عليّ بن أبي طالب لأنس بن مالك _رضي الله عنهما_، عن قوله _صلى الله عليه وآله وسلم_: "اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه"، ورده عليه بقوله: "كبرتْ سِنِّي ونسيتُ"، وقول الإمام عليّ _رضي الله عنه_ له: "إن كنتَ

١_ الديوان: ص ١١٧.
٢_ المسند: ٤/ ٢٨١، سنن ابن ماجة: ١/ ٤٣. وينظر: محمد بيومي مهران: الإمامة وأهل البيت، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٥ م،
٣_ الديوان: ص ٨٨.
٤_ ينظر: المسند: ٤/ ٢٨١، سنن ابن ماجه: ١/ ٤٣، الغدير: ١/ ١٠.
٥_ الديوان: ص ١٠٥.

كاذبًا فضرَبَكَ اللهُ بيضاءِ لا تُوارِيها العمامةُ"، فأصاب أنسا هذا الداء، فحلف أنس بن مالك ألا يكتم منقبة لعلي بن أبي طالب ولا فضلا أبدا. (١)

كما تفاعل الشاعر في قوله: (٢)

نفس النبي المصطفى والصنوو الـ خليفـــة الــوارث للعلم بنص

تفاعل معنى مع ما ورد عن النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_: (إن علياً منى وأنا منه) (٣) وقوله للسيدة فاطمة _رضى الله عنها_: "زوجتُك خير أمتى أعلمهم علماً، وأفضلهم حلمًا وأولهم سلمًا..". (٤) وقوله عليه السلام: "أنا دار الحكمة وعليّ بابَها" (٥)، ليؤكد من خلاله مدى قرب الإمام عليّ _رضي الله عنه_ من النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_، فهو الوارث، والصنو، وزوجته ابنته، وهي خير أمته، وأعلمها، وأفضلها، وأولها إسلاما وتصديقًا..

وهو قريب منه أيضًا قوله: (٦)

نفسُ النبيِّ الخاتمِ أفضـــلِ وُلْدِ آدمِ
وصِنوهُ في العَالَمِ وقُلْ بِـــهِ يَا سَائِلُ

إذ يتفاعل الشاعر في هذين البيتين تفاعلا نصيًا مع مضمون قوله _صلى الله عليه وآله وسلم_: " أنت أخي في الدنيا والآخرة"، و"أنت أخي وأنا أخوك يا علي ..". (٧)

وفي قوله: (٨)

مَنْ قال فيه النبيُّ: كَانَ مع الـ حَقِ عليٌّ والحقُّ كَـانَ مَعَـهْ ؟!

يتفاعل الزاهي تفاعلا نصيا أيضا مع مضمون ما ورد على لسان النبي _صلى الله عليه وسلم_، وكان عليّ قد قضى بقضية باليمن فأتوا النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ فقالوا: إن عليا ظلمنا، فقال _صلى الله عليه وآله وسلم_: "إن علياً ليس بظالم ولم يخلق للظلم، وإن عليًا وليكم بعدى والحكم حكمه والقول قوله لا يرد حكمه إلا كافر ولا يرضى به إلا مؤمن". (٩)

١_ ينظر: المعارف: ص ٥٨٠، وأنساب الأشراف: ج ١، ص ٣٦١، والغدير: ج ١، ص ١٩١.
٢_ الديوان: ص ١٠٤.
الصنو هو الأخ الشقيق أو ابن العم.
٣_ الترمذي: ٦٣٢/٥، وابن ماجة ٤٤/١، وقوله للإمام على : "أنت منى وأنا منك" (نفسه ٥/ ٦٣٥) ..
٤_ المسند: ٢٦/٥.
٥_ الترمذي: الجامع الصحيح، ٦٣٧/٥، (٣٧٢٣).
٦_ الديوان: ص ١٣٥_ ١٣٦.
٧_ مناقب آل أبى طالب: ٢ / ٢١١.
٨_ الديوان: ١١٧.
٩_ مناقب آل أبى طالب: ٤١/٢ ..

وفي قوله: (١)

قومٌ لو انَّ بحارَ الأرضِ تنزِفُ بالْـ أَقْلَامِ مِشقًا وأقـــلامِ الدُنَـــا شَجَرُ
والإنسَ والجِـــنَّ كُتَّـــابٌ لفضلِهُمُ والصُحْفَ ما احتوتِ الآصالُ والبُكُرُ

يتفاعل الشاعر في هذين البيتين تفاعلا نصيا لفظيًا مع ما ورد على لسان النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_: "لو أن الأشجار أقلام والبحر مداد، والجن حسَّاب والإنس كتَّاب ما أحصوا فضائل على بن أبى طالب". (٢)، لتأكيد فضائله _رضي الله عنه_، وتميُّزه عن سائر المخلوقات، حتى إذا أراد الجن والإنس أن يعددوا خصاله وفضائله عجزوا عن ذلك.

وفي قول الزاهي: (٣)

مُكَلِّمُ الشمسِ بِمَا قالَ لَهَا رَبُّ السَمَا
تسمَعُ منْه الكَلِمَا وَهْيَ لَـــهُ تُقَاوِلُ

تفاعل الشاعر في هذين البيتين تفاعلا نصيًا مع ما ورد عن النبي _ صلى الله عليه وآله وسلم_ لعليّ بن أبى طالب: "يا أبا الحسن، كلم الشمس؛ فإنها تكلمك... فقال على: السلام عليك أيها العبد المطيع لله ورسوله !!. فقالت الشمس: وعليك السلام، يا أمير المؤمنين، وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين، يا عليّ، أنت وشيعتك في الجنة، يا على، أول من تنشق عنه الأرض محمد ثم أنت، وأول من يجنى محمد ثم أنت، وأول من يكسى محمد ثم أنت، فسجد على لله تعالى وعيناه تذرفان بالدموع، فانكب عليه النبي صلى الله عليّ وآله وسلم فقال: "يا أخي وحبيبي، ارفع رأسك، فقد باهى الله بك سبع سماوات". (٤)

وإلى جانب تفاعل الزاهي النصي مع بعض ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومعانيهما، تفاعل كذلك مع بعض أقوال الصحابة، وهو ما تقصد به الباحثة ذكر الزاهي لبعض أقوال الصحابة، مستفيدًا منها في تأكيد دوافعه وحججه في الدفاع عن الإمام علي _رضي الله عنه_ وآل بيته الأطهار.

كما في قوله: (٥)

أمَّنْ يقولُ في الدَرَك : لــولا عليٌّ لَهَلَكْ !!
كمثلِ مِــنْ أيْنَ سَلَكْ فالحقُّ مَعْهُ رَاحِلُ ؟!

١_ الديوان: ص ٧١.
٢_ ينظر: مناقب الخوارزمي: ١/ ١٥٩، الغدير: ٣/ ٣٩٥.
٣_ الديوان: ص ١٣٤.
٤_ ينظر: ابن شاذان: المناقب، ٧٠، والأميني: الغدير، ٣/ ٣٩٣.
٥_ الديوان: ص ١٣٥.

فالشاعر في هذين البيتين تفاعل مع قول الفاروق عمر بن الخطاب _رضي الله عنه_ (ت ٢٥ هـ): "اللهم إني أعوذ بك من عضيهة ليس لها على عندي حاضراً". (١)، تفاعل معنى، مستبدلًا ألفاظه بألفاظ ومفردات أخرى، ولكنها في الوقت ذاته تدور في مضمونها وفحواها، وهو الإشادة بفضل الإمام عليّ _رضي الله عنه_، وعلمه وفطنته، ولكنه لم يكتفِ بذلك، ناقلًا سياقها من تواضع الفاروق عمر _رضي الله عنه_ واحترامه للإمام علي بن أبي طالب _رضي الله عنه_ إلى التعريض بالفاروق؛ وذلك من خلال المقارنة التي عقدها في البيت الثاني تحديدًا، فبعد تأكيده فضل عليّ _رضي الله عنه_ في البيت الأول، استخدم الأسلوب الإنشائي في البيت الثاني متسائلًا، في قوله: كمثل من أين سلك؟ واستعماله لألفاظ الهلاك، والدرك، للدلالة على الخطر المحدق، في المقابل ربط طريق الحق بالإمام عليّ _رضي الله عنه_، فالحق في كل طريق يسلكه..

وعند إماطته اللثام عن جانب من جوانب عظمة الإمام علي، وبطولاته الفريدة –يأخذنا إلى أسمى درجات التكريم، التي حظي بها، _رضى الله عنه_، من الله وملائكته، في يوم بدر أو أحد، إذ هتف جبريل الأمين، بمقولته الشهيرة: "لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا عليّ" (٢)، وهو التكريم الذي نهل من حياضه الشاعر في ثنائه على الإمام، بقوله: (٣)

مَنْ مِثْلُ مولَانـــا عَلِي فِي الفضلِ للمُتأمِلِ ؟!
ولـــهُ بِأُحُـــــدٍ موقِـفٌ في ذِي الفَقَارِ المُنْزَلِ
جبريلُ نَادَى في السَّمَا والنَّقْعُ لَيْسَ بِمُنْجَـــلِ
والمسلمُـــونَ بأسرِهـــم حَوْلَ النبيّ المُرْسَـلِ
:لا سيفَ إلا ذُو الفَقَارِ ولا فتىً إلا عَلِـــي !!

وقوله: (٤)

لا فتىً الحُروب غيرُ عليٍّ لا ولا صَارِمٌ سِوَى ذِي الفَقَارِ!!

وقوله: (٥)

فقالَ جبريلُ ونَادى: لا فَتَىً إلا عليٌّ عمَّ في القولِ وخَصّْ

فقد تفاعل الزاهي في الأبيات السابقة مع قول جبريل السابق الذكر، تفاعلًا نصيًا لفظيًا مباشرًا، متفاعلًا مع الألفاظ ذاتها، (لا فتى كعلي)، و (لا سيف إلا ذو الفقار)، ليؤكد شرف الإمام عليّ _رضي الله عنه_ وتكرمته في الأرض والسماء..

١_ مناقب آل أبى طالب: ٣٩/٢.
٢_ مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ١٠١.
٣_ الديوان: ص ١٣١.
٤_ الديوان: ص ١٧٥.
٥_ الديوان: ص ١٠٤.

المبحث الثاني: التفاعل النصي التاريخي في شعر الزاهي:

وتقصد الباحثة بالتفاعل النصي التاريخي، كيفية استفادة الشاعر من بعض الأحداث التاريخية، في بناء قصائده على نحو تصاعدي، بتفجير طاقاته التعبيرية والشعورية والفكرية، وتوظيفها من خلال أشعاره، توظيفًا يخدم فكره، خاصة في الأحداث التاريخية التي تبرز قوة عليّ _رضي الله عنه_ وبأسه في المعارك والغزوات، ومواقفه مع النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_، فالتفاعل النصي مع الأحداث التاريخية في شعر الزاهي، ملمح بارز فيه، خاصة عندما يتعلق الأمر بتصوير بطولات الإمام عليّ _رضي الله عنه_، ونومه في فراش النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ ليلة الهجرة ومشاركته في العديد من الغزوات مع النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ وخلعه لباب خيبر، وغيرها من الأحداث الدينية التاريخية التي سجلها الزاهي في ديوانه، سواء كان تلميحًا أم تصريحًا، وهو ما سنقف عنده فيما يلي:

فها هو يتفاعل تفاعلا نصيًا تاريخيا من خلال وصفه لخلع الإمام عليّ _رضي الله عنه لباب (خيبر)، قوله: (١)

مَنْ قَدَّ (مرحباً) بيومِ خَيْبَرٍ فارتجسَ الحِصْنُ بِهِ ارتجاسَهْ
مَنْ قَلَعَ البابَ بها وَعَـدَّهُ تِرْسَاً إذا عَدَّ الورَى أتراسَـــهْ

تفاعل الزاهي في هذين البيتين مع حدث حصار المسلمين لحصن خبير (٧ هـ)، عندما برز لهم سيده وبطلهم مرحب اليهودي، وكان سببًا من أسباب استشهاد الصحابي الجليل عامر بن الأكوع ثم بارزه على بن أبى طالب _رضي الله عنه_ فقتله، ونقل ابن إسحاق من حديث أبى رافع مولى رسول الله _صلى الله عليه وآله وسلم_ أن عليا عندما دنى من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده فتناول على بابًا كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ، وقال أبو رافع: فلقد رأيتني في نفر سبعة معي، أناسا منهم، بجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه، وذكر البيهقي (٤٥٨ هـ) عن جابر بن عبدالله الأنصاري (٧٨ هـ) أن أربعين رجلاً لم يستطيعوا أن يحملوا هذا الباب، وفى رواية أخرى: أن سبعين رجلاً لم يتمكنوا من حمل هذا الباب ، فأعادوه إلى مكانه بعد أن أجهدهم .. (٢)

١_ الديوان: ص ٩٤.
٢_ ينظر: صحيح مسلم: الحديث رقم ١٨٠٧، والسيرة النبوية: ٤٦٧/٣ ودلائل النبوة: ٢١٢/٤.

ويصف بأس الإمام عليّ _رضي الله عنه_ في يوم بدر، يوم خيبر، ويوم النضير، ويوم حنين، قائلا: ([1])

وقالُــوا: عليٌّ إنَّ فيـــهِ دُعَـابَةً وَمِنْ عَجَبٍ أن يملِكَ الصَّعْوَ للصَّقْرِ ؟!
ولِمَ لَمْ يَقُولُوا ذاكَ في يومِ (خيبرٍ) ويومِ (حُنَيْنٍ) و (النضيرِ) وفي (بَدْر)؟!

فيتفاعل الشاعر في هذه الأبيات تفاعلا نصيًا مع بعض المعارك الإسلامية؛ لينفي من خلالها ما وسم به بعض المناوئين للإمام عليّ _رضي الله عنه_ أن به دعابة، وإنما يؤكد مدى قوته وبأسه ومشاركته في المعارك والغزوات الكبرى، كيوم خيبر وهو اليوم الذى فتح الله فيه حصن خيبر للنبي _صلى الله عليه وآله وسلم_، وأبلى فيه الإمام عليّ _رضي الله عنه_ بلاء حسنًا، ويوم حنين، وهو اليوم الذى نصر الله فيه النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ وصحبه على مشركي العرب من قبيلة غطفان، وحلفائها، في أواخر العام الثامن، وأوائل التاسع للهجرة، ويوم النضير الذي نصر الله فيه النبي وصحبه على يهود بنى النضير، ويوم بدر، وهو يوم النصر الأكبر، وقد أبلى فيه الإمام على بلاء رائعًا.

كما يتفاعل الشاعر تفاعلًا نصيا مع غزوة تبوك (٩ هـ)، في قوله: ([2])

غداةَ دَعاهُ المُصْطَفَى وَهْوَ مُزْمِــعٌ لقصدِ تَبُوكٍ وَهْوَ للسيرِ مُضْمِــرُ
فقــالَ: أَقِمْ عَنِّي بِطِيبــــةَ واعلمنْ بأنكَ للفُجَّـــارِ بالحقِ تَقْهَـــــرُ
ولمَّا مَضَى الطُّهرُ النبيُّ تَظَاهَرَتْ عليه رِجَــالٌ بِالمَقَــالِ وأَجْهَــرُوا
فقالُوا: "علـــيٌّ قد قَـــلَاهُ مُحَمَّدٌ" وذاكَ مِنَ الأعـــداءِ إِفْكٌ ومُنْكَرُ
فأتبعَهُ دُونَ المُعَـــرَّسِ فانْثَنَـــى وقالُــوا: علـــيٌّ قَدْ أتَى فتَأَخَّــرُوا
ولما أبانَ القـــولَ عَمَّنْ يقولُــه وأبدَى له ما كـانَ يُبْدِي ويُضْمِــرُ
فقالَ: " أمَا ترْضَى تكونُ خَلِيفَتِي كهارُونَ من مُوسَى؟ وشأنكَ أكبرُ

ويذكر الشاعر في هذه الأبيات إيماءً غزوة (تبوك)، وذلك من خلال سرده لموقف النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ مع عليّ بن أبي طالب _رضي الله عنه_، عندما دعاه النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ أن يكون نائبًا عنه في المدينة، مما أثار تقوّل المتقولين والمنافقين، ذاهبين مذهبًا مُنافيًا للحقيقة، فقد ذهبوا إلى أن محمدًا _صلى الله عليه وآله وسلم_ قد قَلَى عليّا _رضي الله عنه_، وهو زعم باطل، سحقه النبي من خلال رفع مكانته عنده، وجعله في مكانة هارون من موسى، وهو ما

١ _ الديوان: ص ١٧٣.
الصعو: من صغار العصافير، ويُقال هو طائرُ أصغرُ من العصفور.
٢ _ الديوان: ص ٧٥.

نجح الزاهي في تأكيده في هذه الأبيات، وقد نجح الزاهي في هذه الأبيات أن يتفاعل نصيًا مع الحدث التاريخي مرة، ومع الحديث النبوي الشريف مرة أخرى..

كما رصد الشاعر يوم "الغدير" (١٠ هـ)، في مواضع عدة من ديوانه، كما في قوله: ([1])

مَنْ فَرضَ المُصطفَى وِلَاهُ علَى الـ خَلْقِ بيـومِ الغَدِيـرِ إِذْ رَفَعَهْ

وقوله: ([2])

إذ قالَ: من يشهدُ بالغديرِ لِي فبادَرَ السامِـعُ وَهْـوَ قَدْ نَكَصْ

وقوله: ([3])

إذ قال أحمدُ في يومِ الغديرِ لَـهُ بالنقلِ في خبـرٍ بالصِدْقِ مَأْثُـورِ
"قُمْ يَا عليُّ فَكُنْ بَعْدِى لَهُمْ عَلَمَاً واسعَدْ بمنقلَبٍ فـي البَعْثِ مَحْبُـورِ
مولاهُمُ أنتَ والمُوفِي بأمرِهُـمُ نصاً بوحي علَى الألواحِ مسطُورِ"!!

ويوم (الغدير) هو يوم خطبة النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ بغدير (خم) راجعاً من الحج الأكبر سنة (١٠هـ)، وأنه _صلى الله عليه وآله وسلم_ بيَّن فضائل الإمام عليّ _رضي الله عنه_ للذين لا يعرفونه، وحث نبينا الكريم _عليه الصلاة والسلام_ الناس على محبته وولايته؛ لما ظهر من ميل المنافقين عليه وبغضهم له، ويظهر ذلك في قوله _صلى الله عليه وآله وسلم_: "من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه"، وفي هذا يقول د. عبد المجيد الإسداوي: "اتخذ الشاعر في هذا البيت من يوم (الغدير) إطارًا زمنيًا، يتجذَّر فيه الارتباط بالمكان، ويتلاقى فيه التاريخ بصانيعه، وجهًا لوجهٍ، في تعانق؛ بحثًا عن الحقيقة المنشودة، وتقويةً لروافد التفاعل الحيوي مع الهدي النبوي، نبراسًا متواصل الإشعاع، متدفق الإيحاء والتأثير، في بلاغة المؤمن بحقيقة النبوة، وإعجاز الرسالة". (٤)

هذا وقد تفاعل الزاهي مع بعض أحداث السيرة النبوية الشريفة، كما في قوله في مدح الإمام عليّ _رضي الله عنه_: ([5])

مَنِ ارْتَقَى متنَ النبيِّ صَاعِـداً وكسَّرَ الأوْثانَ في أُولَى الفُـرَصْ
وطَهَّرَ الكعبةَ مِنْ رِجْسٍ بِهَـا ثمَّ هَوَى للأرضِ عَنْهَـا وَقَمَصْ
مَنْ قَدْ فَـدَا بنفسِهِ مُحَمَّـداً ولم يكنْ بنفسِهِ عنـهُ حَـرَصْ
وباتَ مِنْ فوقِ الفِـراشِ دُونَه وجَـادَ فيما قـد غَلَا وَمَـا رَخَصْ

١_ الديوان: ١١٧.
٢_ الديوان: ص ١٠٥.
٣_ الديوان: ص ٨٨.
٤_ الديوان: المقدمة، ص ٢٨_ ٢٩.
٥_ الديوان: ص ١٠٤_ ١٠٥.

مَنْ كَانَ في بدرٍ ويومِ أُحُــدٍ قط من الأعناق ما شـــــاء وَقَصْ
مَنْ أُعْطِيَ الرايــةَ يومَ خيبـرٍ مِنْ بعدِ مَا بها أخُو الدَّعْوَى نَكَصْ
فاقْتَلَعَ البَابَ ونَـــالَ فتحَـــهُ وذَكَّ طَـوْدَ مَرْحَبٍ لَمَّـــــا قَعَصْ
وقالَ فِي ذِي قــارَ يَأْتِي مَدَدٌ وعـــدَّهُ فلَمْ يَـزِدْ ومَـــــا نَقَصْ
ومَنْ بصفِّينَ نَضَا حُسَـــامُه فَفَلقَ الهَـــامَ وفـــرَّقَ القَصَصْ
ومَنْ أَسالَ النَّهــروانَ بالدِّمَا وقَطَّعَ العِــرْقَ الذِي بِهَـــا رَهَصْ

ويتفاعل الشاعر في هذه الأبيات مع العديد من صفحات السيرة النبوية العطرة، ففي البيتين الأول والثاني يتفاعل مع حدث صعود الإمام عليّ _رضي الله عنه_ على منكبي رسول الله _صلى الله عليه وآله وسلم_، ناهضا به، فقال عليّ _رضي الله عنه_: إنه يخيل إلى أني لو شئت لنلت أفق السماء، فصعدت على الكعبة وعليها تمثال من صفر أو نحاس، فجعلت أعالجه لأزيله يمينا وشمالا وقداما ومن بين يديه ومن خلفه حتى إذا استمكنت منه قال نبي الله _صلى الله عليه وآله وسلم_: «اقذفه» فقذفت به، فكسرته كما تكسر القوارير، ثم نزلت، وهو _رضي الله عنه_ الذي لم يسجد لصنم.

وفي البيتين الثالث والرابع يتفاعل الشاعر يتفاعل الشاعر تفاعلا نصيًا مع حادثة نوم الإمام عليّ _رضي الله عنه_ في فراش النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ ليلة الهجرة، مُفدِّيا إياه، وكان هذا الموقف موقف شجاعة واستبسال منه _رضي الله عنه_، فربما بسببه قد يقضى نحبه، ولكنه لم يكن آبهًا بذلك، وكان دفاعه عن الرسول _صلى الله عليه وآله وسلم_ أهم عنده من نفسه، مشيرًا في باقي أبيات القصيدة إلى شجاعته، ومشاركته _رضي الله عنه_ في غزوات عدة، كبدر، وأحد، والأحزاب، وخيبر، وغيرها، إضافة إلى بعض المعارك الدائرة في عهد خلافته، وخاصة ذي قار، وصفين، والنهروان..

ويتفاعل الشاعر تفاعلا نصيا مع حدث مخاطبة الإمام على للشمس، كما في قوله: (١)

مُكَلِّمُ الشمسَ ومَنْ رُدَّتْ لَهُ ببابلٍ والغربُ منها قَدْ قَبَطْ

وقوله: (٢)

وردّه مــن هيبَـــــهْ للشمسِ بعدَ الغَيْبَهْ
يومينِ ضُمَّتْ طِيبَه يوماً ويوماً بَابِـــلُ

١_ الديوان: ص ١٧٧.
٢_ الديوان: ص ١٣٥.

ويتفاعل الشاعر في هذه الأبيات تفاعلا نصيًا، مع ما روي في واقعة صفين عن أبى عمارة عبد خير بن يزيد الهمداني الكوفي قوله: "كنت مع على أسير في أرض بابل، وحضرت الصلاة صلاة العصر، فجعلنا لا نأتي مكاناً إلا رأيناه أفيحَ من الآخر؛ حتى أتينا على مكان أحسن ما رأينا، وقد كادت الشمس أن تغيب، فنزل على ونزلت معه، فدعا الله؛ فرجعت الشمس كمقدارها عن صلاةِ العصر، فصلينا العصرَ، ثم غابت الشمس..". (١)

ويشير الشاعر في هذا البيت إلى ما رواه ابن مزاحم، عن أبى سعيد التيمي التابعي المعروف بعقيصا قوله: "كنا مع عليّ في مسيره إلى الشام، حتى إذا كنا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد قال: عطش الناس واحتاجوا إلى الماء، فأنطلق بنا عليّ، حتى أتى بنا على صخرة ضرس من الأرض، كأنهار بضة عنز، فأمرنا فاقتلعناها فخرج لنا ماء، فشرب الناس منه وارتووا، ثم أمرنا فأكفأناها عليه، وسار الناس حتى إذا مضينا قليلا، قال على: منكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذى شربتم منه ؟!، قالوا : نعم ، يا أمير المؤمنين ، قال : فانطلقوا إليه ، فانطلق منا رجال ركباناً ومشاة ، فاقتصصنا الطريق إليه ، حتى انتهينا إلى المكان الذى نرى أنه فيه ، فطلبناها ؛ فلم نقدر على شيء ، حتى إذ عيل علينا انطلقنا إلى دير قريب منا ، فسألناهم : أين الماء الذى هو عندكم ؟! قالوا: ما قربنا ماء . قالوا : بلى إنا شربنا منه ، قالوا : أنتم شربتم منه ؟! قلنا: نعم، قال صاحب الدير: ما بني هذا الدير إلا بذلك الماء وما استخرجه إلا نبي أو وصيّ نبي". (٢)

ويتفاعل الزاهي مع واقعة فتنة الجمل، فيقول: (٣)

مَنْ كَسَحَ البصرةَ من ناكثِهَا وقَصَّ رِجْلَ عَسْكَرٍ بِمَا رَقَصْ

وإحساس الفجيعة المؤلم الذي داهم آل البيت النبوي الشريف، وأتى على منازلهم، وتحولت إلى دور مقفرة بعد أن ترحلَّ عنها أهلوها، وطيب ذكرهم ، مشبهًا امحاء آثارها، بامحاء خط الصحيفة نتيجة تقلبات الدهر بالطموس والزوال ، ثم انتقل إلى تصوير الإمام الحسين وآله _رضي الله عنهم_ الذين تساقطوا صرعى في يوم (كربلاء)، مشبها إياهم بزهر النجوم ، التي غيبتها الظلمات الدامسة، في غير أوانها، يسقط الواحد تلو الآخر، فوق أديم الأرض ، كما لو كانوا أضاحي حان وقت الفداء بها، وأرؤسهم كالثمرات الجنية متأرجحة، فوق سمر القنا، كالغصون المثمرة.

١_ ينظر: نصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ): وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٢ هـ، ص ١٣٦ ، المناقب: ص ٥٧٠، والغدير: ٣/ ٣٩٣ ، وغيرهما..

٢_ نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ١٤٥، وينظر: البغدادي: تاريخ بغداد، ١٢ / ٣٠٥.

٣_ الديوان: ص ١٠٥.

ثم ينتقل شاعرنا من العام إلى الخاص، ليذكر رأس الحسين الشريفة فوق الرمح، وكأنها غرة الشمس، مسفرة، ترسل أشعتها لأهل الأرض، الذين طمست على أعينهم وقلوبهم أحقادهم وأطماعهم، وهو ما تفاعل معه الزاهي تفاعلا نصيًا، في قوله: ([1])

غَدَتْ أرضُ (يثربَ) من رَهْطِكُمْ كَخَطِ الصَّحِيفَــةِ إِذْ أَقْفَــرَتْ
وأَضْحَتْ بكُم (كَرْبلا) مَغْرِبَــاً كَــزَهْرِ النُّجُــومِ إِذَا غوَّرَتْ
وفتيتُه فـوقَ وجْــهِ الثَّـــــرَى كَمِثْلِ الأَضَاحِـي إِذَا جُــزِّرَتْ
وأرؤسُهُمُ فـوقَ سُمْـــــرِ القَنَـا كمِثْلِ الغُصُــونِ إِذَا أَثْمَـرَتْ !!
ورأسُ الحُسينِ أمــامَ الرِّمَــاحِ كَغُرَّةِ شَمْسٍ إِذَا أَسْفَـــــرَتْ

أضف إلى ذلك تفاعل (الزاهي) مع بعض الشخصيات الدينية والتاريخية، منهم من ورد ذكره باسمه، كالوليد بن عتبة بن ربيعة، وعمرو بن وَد، وذي الخمار، ومرحب اليهودي .. وغيرهم، ومنهم من ذكره بصفاته واسمه كالإمام عليّ _رضي الله عنه_، ومنهم من أشار وأومئ إليه تلميحًا لا تصريحًا، كالسيدة عائشة رضي الله عنها_، فيقول مثلًا في معرض مدحه للإمام عليّ _رضي الله عنه_: ([2])

هذا الذي أردَى الوليدَ وعُتبــةً والعامريَّ وذا الخِمَار ومرحَبَا
هذا الذِي هَشَمَتْ يداهُ فَوارِسًا قَسْرًا ولم يكُ خائِفًا مُتَرَقِّبَـا

فالشاعر هنا يذكر قوة الإمام عليّ _رضي الله_ وبأسه، فهو الذي قتل عتبة وابنه الوليد، وكان مقتلهما في غزوة (بدر)، كما أشار إلى قتله عمرو بن وَد المعروف بالعامري يوم (الخندق)، وذا الخمار، ومرحبًا اليهودي يوم خيبر، ليختتم ذلك بأنه قد هشمت يداه فوارسًا، دون خوف منه أو ترقب، متفاعلا تفاعلا نصيًا تاريخيًا مع هذه الشخصيات، وما ارتبط بها من وقائع وأحداث سياسية أو تاريخية.

كما تفاعل الشاعر مع قصة طالوت، في قوله: (٣)

ونهرُ طالوتَ وجنبُ اللهِ والـ عينُ التي بنُورِها العقلُ خُلِطْ

تفاعلا نصيًا مع أحداث هذه القصة، ذكر الشاعر في هذا البيت نبي الله طالوت، وطالوت من سبط بنيامين بن يعقوب _عليهما السلام_، كان مسكينا، وراعى حمير، وخرج من قريته يطلب حمارين له، فنزل بإشماويل ([4]) وأعلمهم أنه ملكهم، وأنه من سبط بنيامين؛ فرفضوا نبوته وكان له النصر

١_ الديوان: ص ٥٧_ ٥٨.
٢_ الديوان: ص ١٤٧.
٣_ الديوان: ص ١٧٨.
٤_ هو إشماويل بن هلقانة، وقيل هو ابن بروخان بن ناحور، واسم أمّه حنّة من بني إسرائيل، قالوا: وإشماويل هو إسماعيل، وهو الذي قالوا له: ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.. ينظر: البكري: المسالك والممالك، ج ١، ص ١٢٤.

على عدوه، بإذن الله تعالى، ولعله في تناصه يشير إلى الظلم الذي وقع على الإمام عليّ _رضي الله عنه_ مستشعرًا نصر الله تعالى له، كما نَصَر نبيه طالوت _عليه السلام_.

كما تفاعل الزاهي في قوله: (١)

ومَنْ كانَ زُلْزِلَ يومَ الرسولِ نَعَمْ زَلْزَلَ الشكُّ ذاكَ الفَرُوقَا !

تفاعل معنى مع الحادثة الكبرى والفارقة في حياة المسلمين، وهي حادثة فجيعتهم بموت النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_، ويوم الرسول: يوم انتقاله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى وهو يوم : الأثنين الثاني عشر من ربيع الأول من العام الحادي عشر بعد الهجرة، ويقصد بالفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويومئ بذلك إلى ما نقله الرواة والمؤرخون من خبر عدم تصديق عمر _رضي الله عنه_ نبا وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً " إن رسول صلى الله عليه وسلم لم يمت ولكن ربه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى ، فمكث عن قومه أربعين ليلة ، والله ، إني لأرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقطع أيدى رجال من المنافقين وألسنتهم ، يزعمون – أو قال: يقولون – إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ". (٢)

هكذا نجح الزاهي في الاستفادة من طاقات التفاعل النصي، في تأكيد أفضلية الإمام عليّ عن غيره من المسلمين؛ ليؤكد انه الأحق في خلافة المسلمين بعد النبي الكريم _صلى الله عليه وآله وسلم_، وذلك من خلال تفاعله النصي مع بعض أحداث التاريخ، ليؤكد من خلالها بأس عليّ وشجاعته، بدءًا من إيمانه _رضي الله عنه_ بالنبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ ومؤازرته، ثم نومه في فراشه مفديًا له، مشاركًا في غزوات النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ وفتوحاته، وفي المقابل أخذ يعرِّض ببعض الصحابة وفي مقدمتهم سيدنا عمر _رضي الله عنه_، وإشارته إلى موقعة الجمل وموقف أم المؤمنين عائشة _رضي الله عنها_ ووقوفها بجانب المناوئين للإمام عليّ _رضي الله عنه_ وأتباعه، كل هذا وغيره أغنى بلا شك معجم الزاهي الشعري، متفاعلا تفاعلا نصيًا مباشرًا أو غير مباشر، سواء مع بعض الاحداث والقصص التاريخية، أو بعض الشخصيات الإسلامية والتاريخية.

١ _ الديوان: ص ١٢٨.
الفروق: الفاروق، وحذفت الألف الملينة المتوسطة، لضرورة الوزن.
٢ _ ينظر: طبقات ابن سعد: ٢ / ٢٦٦، وسيرة ابن هشام: ٦٥٥/٤..

المبحث الثالث: التفاعل النصي الشعري في ديوان الزاهي:

إن أي عمل أدبي لا يخلو من تقاطعات مع نصوص أخرى، فالذاكرة الشعرية مليئة بمخزون هائل من القراءات وقد تكون الإفادة منها بطريقة واعية أو غير واعية؛ إذْ تحفلُ دواوين الشعراء بأمثلةٍ كثيرة تتقاطع فيها القصائد مع بعضها البعض، وتتداخل النصوص في كثير من المواضع، وهذا الأمر يتطلب اطلاعا واسعا على الشعر بمختلف أغراضه، ومراحله.

وتقصد الباحثة بالتفاعل النصي الشعري عند الزاهي، هو تفاعله النصي مع غيره من الشعراء، سواء السابقين عليه، أو المعاصرين له، وكيفية توظيفها إياها، مستوحيًا بعض ألفاظهم ومعانيهم، فقد تفاعل الزاهي مع غيره، من شعراء الشيعة، وغيرهم، سواء في عقيدتهم الدينية ، أم مذهبهم الكلامي والسياسي ، فقد كان مصدر ثقافتهم ينبع من معين واحد، مما انعكس بدوره على شعر الزاهي، فاستخدم أدواتهم التعبيرية، ودار في فلك معاني قصائدهم وألفاظها، فجاء في معظم شعره المذهبي مقلِّدًا لهم، ألفاظًا وتعابير، وفي مقدمتهم: الكميت بن زيد الأسدي (ت١٢٦هـ)، والسيد الحميري (ت١٧٣هـ)، وسفيان بن مصعب العبدى (ت نحو ١٧٠ هـ) ، وديك الجن (ت٢٣٥هـ) ، ودعبل الخزاعي (ت٢٤٦هـ)، وأبى فراس الحمداني (ت٣٥٧هـ) وعليّ بن عبدالله الناشئ الأصغر (٣٦٦هـ).. وهو ما سنقف عندها من خلال السطور القادمة.

وأول هذه الشواهد ما نطالعه في قول الزاهي: (١)

أبو تُرابٍ حَيْدَرَهْ ذاكَ الإمَامُ القَسْوَرَهْ

وقد تفاعل الزاهي تفاعلا لفظيًا، مع قول الإمام عليّ _رضي الله عنه_ يوم خيبر في الرد على مرحب اليهودي: (٢)

أنا الذي سمتنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ كليثِ غابٍ في العرين قَسْوَرَه
أُكِيلُكُم بالصاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

مستخدمًا ألفاظه بعينها، كـ (حيدره)، و(قسوره)، مستبدلًا بعضها الآخر بما يخدم توجهاته ومعتقداته، فاستخدم لفظة (الإمام) بدلا من الليث، ليؤكد إمامته _رضي الله عنه_، وأفضليته، وأحقيته بالخلافة والإمامة من غيره، وهو ما دأب عليه شعراء الشيعة، فيقول الناشئ الأصغر، مثلا: (٣)

أحاطَ ب (العلمِ) ولا يَصْلُحُ أن يُدعَى (إمامً) من بعلمٍ لَمْ يُحِطْ

١_ الديوان: ص ١٣٤.
٢_ ينظر: مقاتل الطالبين: ٢٥، تاريخ الطبري ٣/ ١٣.
٣_ الناشئ الأصغر عليّ بن عبد الله بن وصيف: الديوان، تحقيق د. عبد المجيد الإسداوي، مكتبة عرفات، الزقازيق، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨ م، ص ١٨٠.

كما يخاطب عليًا بن أبى طالب، قائلا: ([1])

يا سيدِي يـا ابنَ أبِي طَالِبٍ يا عِصْمَةَ اللاجِئ والجَّارِ
لا تَجْعَلَنَّ النارَ لِـي مَسْكَنَاً يَا قاسِمَ الجَنَّةِ والنَّـارِ !!

معتمداً في هذا النداء ووصفه الإمام بأنه (قاسم الجنة والنار)، على كل من السيد الحميري، في قوله: ([2])

قسيمُ النارِ ذاكَ لَهَا وذَا لِي ذَرِيَّه إنَّه لـــي ذو وِدَادِ !!
يُقاسِمُها فينصِفُهَا فترضَى مُقَاسَمَةُ المُعادِلِ غيرَ عَادِ
كما انتقدَ الدراهمَ صَيْرَفِيّ يُنَقِّي الزائفـاتِ من الجِّيَادِ

وديك الجن في قوله: ([3])

ومُقاسِمُ النيـــرانِ أنتَ لِمَنْ أَخَذُوا العهودَ بعـــالَم الذَّرِّ
فتقولُ: "يا نارُ اتركِي لِيَ ذَا" ولذا "خُذِي" فَتَدِينُ لِلْأَمْرِ !!

ودعبل الخزاعي، في قوله واصفاً الإمام نفسه: ([4])

قسيمُ الجحيمِ فهـذَا لَـــهُ وهذَا لَهَا باعتـــدالِ القَسَمْ
يذُودُ عَنِ الحوضِ أعداءَهُ فَكَمْ من لعينٍ طَرِيـدٍ وَكَمْ
فمِنْ ناكثِينَ ومن قـاسطينَ ومِنْ مَارقينَ ومِنْ مجترِمْ

وقسيم النار تعني مقاسمها ومساهمها، وهذا يعني أن القوم على شطرين مهتدون وضالون؛ فكأنَّ عليّ _رضي الله عنه_ قاسم النار إياهم فشطر لها وشطر معه في الجنة، وإذا كان علياً _رضي الله عنه_ يحمل مقام الإمامة فقوله وفعله إذًا حُجّة، ومن هنا فأتباعه أهل الجنة وأعداؤه أهل النار، وهو ما أكده الزاهي وغيره من شعراء الشيعة.

ومرَّ بنا تنويهه بسمو منزلة الإمام عليّ بن أبى طالب _رضي الله عنه_، مشيراً إلى تشبيهه بهارون من موسى (عليهما السلام)، مستنداً إلى بعض الروايات المأثورة عن النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_، في هذا الشأن، قائلاً: ([5])

ولمَّا أبـــانَ القولَ عَمَّنْ يقولُه وأبدَى له ما كان يُبْدِي ويُضْمِـرُ
فقالَ: أمَا تَرْضَى تكونُ خَليفَتِي كهارونَ مِنْ مُوسَى وشأنُكَ أَكْبَرُ؟

١_ الديوان: ص ٩١.
٢_ السيد الحميري: الديوان، شرحه وضبطه وقدَّم له ضياء حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م، ص ٨٦.
٣_ ديك الجن: الديوان، حققه وأعد تكملته/ د. أحمد مطلوب و د. عبد الله الجبوري، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤ م، ص ٥١.
٤_ دعبل الخزاعي: الديوان، شرحه حسن حمد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م، ص ١٢١.
٥_ الديوان: ص ٧٥.

ومنهل هذه الإشارة –إلى جانب الرواية المأثورة –هو قول السيد الحميري، متحدثاً عن الإمام عليّ _رضي الله عنه_، قائلا: (١)

وكانَ لَهُ أَخَـًا وأَمِينَ غَيْبٍ علَى الوحْيِ المُنَزَّلِ حينَ يُوحَى
وكانَ لِأحمدَ الهادِي وزيرًا كَمَا هارونُ كـانَ وزيرُ مُوسَى
وَصِيُّ محمــدٌ وأبو بَنِيهِ وأَوَّلُ سَـــــاجِدٍ لله صلَّـــى

وقول ديك الجن: (٢)

إنَّ الرسولَ لَمْ يَزَلْ يقولُ والخيرُ مــا قالَ بِهِ الرســـولُ
إنَّكَ مِنِّى يَا عليٌّ الأَبِيّ بحيثُ مِنْ مُوسَاهُ هارونُ النبيُّ
لكنَّهُ ليسَ نبيٌّ بَعــدِي فأنتَ خيرُ العالمينَ عِنْــدِي"!!

ووجه الدليل من هذا الخبر في الأمثلة السابقة أن هارون لما كان تاليا لموسى في رتبة الفضل، فإن عليًا _رضي الله عنه_ يجب أن يتلو النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ في الفضل إلا ما استثناه _صلى الله عليه وآله وسلم_ من رتبة النبوة، فيجب القطع إذًا على أنه _رضي الله عنه_ أفضل الصحابة، لما خُصَّ به من فضل وتكريم، وأي تكريم أشرف من جعل النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ منزلته كمنزلة هارون من موسى، وهو ما دأب الزاهي وغيره من شعراء الشيعة على تأكيده في غير موضع.

ويشير في حديثه عن فضائل الإمام عليّ إلى تكليمه الشمس، واستماعها له، بقوله: (٣)

مُكَلِّمُ الشمسِ بِمَا قالَ لَهَا رَبُّ السَمَا
تسمَعُ منْه الكَلِمَا وَهْيَ لَــهُ تُقَاوِلُ

وقد سبق السيد الحميري إلى تأكيد هذه المنقبة للإمام، قائلاً: (٤)

عليٌّ عليه رُدَّتِ الشمسُ مَرَّةً بطيبةَ يومَ الوحيِ بعدَ مَغيبِ
ورُدَّتْ لَهُ أُخْرَى ببابلَ بعدمَا عَفَتْ وتدلَّتْ عينُها لِغروبِ !!

وسفيان العبدي، في قوله: (٥)

ظَاهرٌ باطنٌ كَمَا قَالتِ الشَّمـ ـس جهارًا وقوْلها مكتومُ!!

١_ الديوان: ص ٢٧.
٢_ الديوان: ص ٥٧.
٣_ الديوان: ص ١٣٤
٤_ الديوان: ص ٤٩.
٥_ د. عبد المجيد الإسداوي: شعر سفيان بن مصعب العبدي (ت ١٧٠ هـ/ ٧٩١ م)، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠ م، ص ٤٢.

وابن علوية، في قوله: ([١])

أمَّن عليه (الشمسُ رُدَّتْ) بعدَما كُسي الظلامُ معاطفَ الجدرانِ
حتى قضى ما فات من صَلواتِهِ فـي دُبْرِ يومٍ مشرقٍ ضَحْيـانِ

وبالنظر إلى الأبيات السابقة، نلاحظ كيف تفاعل الزاهي مع أبيات الحميري وابن علوية، وسفيان العبدي، تفاعل معنى، فكلٌ منهم يذكرنا بقصة تكليم سيدنا عليّ _رضي الله عنه_ للشمس، وإن كان الزاهي قد اكتفى بقوله: (مكلم الشمس)، فقد فصَّل السيد الحميري هذا تفصيلا، فيذكر أن الشمس ردت لعلي _رضي الله عنه_ مرتين، مرة بطيبة، والأخرى ببابل، ليكون بيت الحميري أوضح في الدلالة، وأدق في المعنى.

كما تفاعل الزاهي في قوله: ([٢])

جبريلُ نادَى في السَّمَا والنَّقْعُ لَيْسَ بِمُنْجَـلِ
والمسلمُـونَ بأسرِهـم حَوْلَ النبيِّ المُرْسَـلِ
:لا سيفَ إلا ذُو الفَقَارِ ولا فتىً إلا عَلِـي !!

مع قول السيد الحميري في الموقف الجليل نفسه: ([٣])

مَنْ ذَاكَ نَوَّهَ جبرئيلُ باسْمِـهِ في يومِ بَدْرٍ يسمعونَ نِداءَ
لا سيفَ إلا ذُو الفَقَارِ ولا فتىً إلا عليٌّ رِفعـةً وعَلاءَا

وقوله: ([٤])

إذْ جاءَ جبريلٌ فنـادَى مُعْلِناً فِي المسلمينَ وأسْمَعَ الأَبْرَارَا
لا سيفَ إلا ذُو الفَقَارِ ولا فتىً إلا عليٌّ إنْ عَدَدْتَ فَخَـارَا

وهو المعنى الذي ذهب إليه كذلك الناشئ الأصغر في قوله: ([٥])

ذاك (عليّ) الـذي يقـول لـه (جبريل) يـوم النزال ممتدحـا
"لا سيف إلا سيف (الوصي) ولا فتى _سواه_ إن حادث فدحَا

والقاسم بن يوسف العجلي (ت ٢٢٠ هـ)، في قوله: ([٦])

(ووصيٌّ) المصطفى و (أخٌ) دونَ ذي القُربَى وإن قَرُبَا

١_ د. عبد المجيد الإسداوي: شعر أحمد بن علوية الكاتب (ت بين ٣٢٠_ ٣٢٢ هـ/ ٩٣٢_ ٩٣٣ م)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٩ م، ص ٩٢.
الضحيان: المرتفع الوضوح، والإشراق.
٢_ الديوان: ص ١٣١.
٣_ الديوان: ص ٢٣.
٤_ الديوان: ص ١٠٣.
٥_ الديوان: ص ٢٢٥.
٦_ الديوان: ص ٢١٣.

وسفيان العبدي: ([1])

ذا (عليّ الوصيّ) داعب مولا تكم (فاطمًا) فأبدت سرورا

وقوله، أيضًا: ([2])

هذا (عليٌّ) حبيبـــي أخو البشير النذيـــر!!

إذ يتفاعل الزاهي مع القاسم، وسفيان العبدي، في تأكيد وصاية الإمام عليّ _رضي الله عنه_ ومؤاخاته للنبي _صلى الله عليه وسلم_، وهي أحد أهم مبادئ الشيعة ومعتقداتهم؛ التي حرص شعراؤهم على تأكيدها، في مواضع عدة من دواوين أشعارهم..

وإذا نظرنا إلى أبيات الزاهي نجده قد تفاعل تفاعلًا نصيًا مع أبيات السيد الحميري، وأبيات الناشئ الأصغر، والقاسم بن يوسف العجلي، وسفيان العبدي في إيرادهم لقصة الأمين جبريل _عليه السلام_، مشيدين بفضل الإمام علي _رضي الله عنه_ وبأسه وقوة سيفه، مؤكدين أن لا فتى كعلي، وأن ليس سيفًا كذي الفقار، إلا أن السيد الحميري كان أكثر تدقيقا فذكر أن قول جبريل هذا كان في غزوة بدر، في قوله (نوه جبريل باسمه في يوم بدر)، وهذا يتوافق مع ما ورد عن الحسن بن عرفة "حدثني عمار بن محمد، عن سعيد بن محمد الحنظلي، عن أبي جعفر محمد بن عليّ، قال: نادى مناد في السماء يوم بدر يقال له: رضوان: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى الا عليّ، قال ابن عساكر : وهذا مرسل ، وإنما تنفل رسول الله (ص) سيفه ذا الفقار يوم بدر، ثم وهبه من عليّ بعد ذلك". (٣)

كما تفاعل الزاهي في قوله: ([4])

من أعطَى الراية يوم خيبر من بعدما بها أخو الدعوى نكص

فاقتلعَ الباب ونالَ فتحـــه ودكَّ طـود مرحب لمـــا قعص

تفاعل معنى مع قول الناشئ الأصغر: ([5])

ذاك علـى الـــذي تراجـــع عن فتح ســـواه وســـار فافتتحا

في يوم (حصن اليهود) حين أقل ل (الباب) من حصنهم وحينا

وهو التعريض بأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب _رضي الله عنهما_، لِما بدر منهما يوم (خيبر)، وما نُسِب إليهما من تراجع دون فتح، فيقول الزاهي أنه لما أعطي عليّ الراية يوم خيبر بعد فشل الصديق والفاروق في الفتح، استطاع أن يحقق النصر المبين، ونجح في اقتلاع باب خيبر ونال

١_ شعر سفيان بن مصعب العبدي: ص ٢٠.
٢_ السابق: ص ١٦.
٣_ البداية والنهاية: ج ١٠، ص ٤١٤.
٤_ الديوان: ص ١٠٥ .
٥_ الديوان: ص ٢٢٥.

فتحه، وهو ما ذهب إليه الناشئ أيضًا، وإن كان تعبير الزاهي أقوى في الدلالة على قوة الإمام عليّ الذي استطاع اقتلاع الباب الذي عجز عن حمله أربعين رجلا!!

وعند تصويره جانباً من فجيعة الأمة الإسلامية بمقتل الإمام الحسين _رضى الله عنه_ يطالعنا الزاهي بقوله: (١)

هذا حسين على الفرات ظمـا قضى وفى إثره الرشـاد فضا
قد تركوا صدره الكريم على ال له إلى أسهم العـدا غرضا
وجسمه في التراب منعفـراً ورأسه فوق ذابـل رمضـا
وسيق نسوانـه وصبيتـه أسرى إلى الشام لم تجد عرضا

وقد بنى الشاعر معالم معجمه اللغوي والدلالي لهذه الأبيات، متفاعلا نصيًا مع قول الكميت الأسدي، الذي سبق إلى تصوير هذه الفجيعة قائلاً: (٢)

وَقَتِيلٌ بالطَّفِ غُودِرَ منـهُ بَينَ غَوغـاءِ أُمّةٍ وَطَغَـامِ
تَركَبُ الطَّيرَ كالمَجَاسِدِ مِنهُ مَعَ هَابٍ من التُّرَابِ هَيَـامِ
وَتُطِيلُ المُرَزَّءاتُ المَقَالِـي تُ عَلَيهِ القُعُود بَعدَ القِيَـامِ
يَتَعَرَّفنَ حُرَّ وَجهٍ عَلَيـهِ عُقبَةُ السَّرو ظَاهِراً والوَسَـامِ
قَتَلَ الأدعِيَاءُ إذ قَتَلُـوهُ أكرَمَ الشَّارِبِينَ صَوبَ الغَمَامِ

أما دعبل فقد مهد لشاعرنا السبيل لتجسيده هذه المصيبة الكبرى، بقوله: (٣)

يا أُمَّـةً قَتَلَت حُسَينـاً عَنـوَةً لَم تَـرعَ حَقَّ اللهِ فيـهِ فَتَهتَدي
قَتَلوهُ يَـومَ الطَفِّ طَعناً بِالقَنـا سَلبـاً وَهَبراً بِالحُسـامِ المُقصِـدِ
وَلَطالَمـا نـاداهُمُ بِكَلامِـهِ جَدّي النَبِيّ خَصيمُكُم في المَوعِـدِ
جَدّي النَبِيّ وَأَبي عَلِيٌّ فَاِعلَمـوا وَالفَخـرُ فاطِمَةُ الزَكِيَّةُ مَحتِـدي
يا قَـومُ إِنَّ المـاءَ يَلمَعُ بَينَكُم وَأَمـوتُ ظَمـآنَ الحَشـا بِتَوَقُّدِ
قَـد شَفَّني عَطَشـي وَأَقلَقَني الَّذي أَنا فيهِ مِن ثِقَلِ الحَديدِ المُجهِدِ

١_ الديوان: ص ١١٣.

٢_قال المسعودي في مروج الذهب: "قدم الكميت المدينة فأتى أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم فأذن له ليلا وأنشده فلما بلغ الميمية قوله:

وقتيل بالطف غودر منهم بين غوغاء أمة وطغام

بكى أبو جعفر ثم قال: يا كميت لو كان عندنا مال لأعطيناك ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لحسان بن ثابت :لا زلت مؤيدا بروح القدس ما ذببت عنا أهل البيت". ينظر: الشيخ الأميني: الغدير، ج ٢، ص ١٨٧، شرح هاشميات الكميت بن زيد الاسدي بتفسير ابي رياش احمد بن ابراهيم القيسي ت٣٣٩ه تحقيق د.داود سلوم ودنوري القيسي عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية بيروت ط٢ ١٤٠٦ه ١٩٨٦م، ص٣٣و٣٤.

٣_دعبل الخزاعي: الديوان، تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي الخزرجي، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٢ م، القسم الأول، مما قاله في الأئمة من آل البيت، ص ١٠٣.

قالوا لَهُ هَـــذا عَلَيكَ مُحَـــرَّمٌ حَتّى تُبايِـــــعَ لِلغَبِـــيِّ الأَســـوَدِ
فَأَتاهُ سَهمٌ مِن يَدٍ مَشؤومَـــــةٍ مِن قَـــوسِ مَلعـــونٍ خَبيثِ المَـولِدِ
يا عَينُ جودي بِالدُموعِ وَاهمُلي يـــا عَينُ جـــودي بِالدُموعِ وَاهمُلي

ونلاحظ من خلال النماذج السابقة مدى تفاعل الزاهي النصي مع ألفاظها ومعانيها، فكل منهم يصوِّر لنا تلك الفجيعة التي آلمتهم جميعًا، وهي الظلم الذي وقع على أهل البيت وقتل الإمام الحسين _ضي الله عنه_، ويصرِّح كلٌ من الزاهي ودعبل باسم (الحسين)، بينما يستخدم الكميت لفظ (قتيل) للإشارة إلى الإمام (الحسين) _رضي الله عنه_، كما حدد الكميت ودعبل مكان القتل وزمنه، فيقول الكميت (وقتيل بالطف) ويقول دعبل (قتلوه يوم الطف)، إذ يعتبِر الشيعة معركة (كربلاء) أو (الطَّف) سنة ٦١ هـ، قصة تحمل معاني كثيرة كالتضحية والحق والحرية؛ لذا ترددت أصداؤها كثيرًا في أشعارهم.

ويتفاعل الزاهي تفاعلا نصيًا مع معنى بيت دعبل الخزاعي الذي صور فيه حال الحسين عند قتله، إذ مات عطشانَ والماء محيط به، فيقول الزاهي: (هذا حسين على الفرات ظما)، ويقول دعبل، بلسان حال الحسين _رضي الله عنه_: (يا قَـومُ إنَّ المـاءَ يَلمَعُ بَينَكُم وَأَمـوتُ ظَمآنَ الحَشا بِتَوَقُّدِ)، وإن كان تعبير دعبل أشد وأوقع، إذ عبَّر عنه تعبيرًا مؤثرًا لحالة الحسين، وهو عطشان وقد منعوا الماء عنه، بينما أحشاؤه تتوقد وتضرم.

كما يتفاعل الزاهي في بيته الثالث: (وجسمه في التراب منعفراً ورأسه فوق ذابل رمضا) تفاعل معنى مع قول الكميت: (تَرَكَبُ الطَّيرَ كالمَجَاسِدِ مِنهُ مَعَ هَابٍ من التُّرَابِ هَيَامِ)، فكلامها يصف حال الحسين بعد القتل، وقد تعفَّر جسده الشريف بالتراب، ليس هذا فحسب، بل وصفا تحلل جسده وفساده، فها هو الزاهي يقول _ورأسه فوق ذابل رمضا)، أي أن رأسه فوق رمح، أتت عليه حرقة القيظ، ففسد وتحرَّق، أما الزاهي فيصف الطير تعلو جثته _رضي الله عنه_ وتأكل منسأته!!

كما يصف دعبل جانبًا مشرقًا مضيئًا من مناقب الإمام على بن موسى الرضا (رضى الله عنه)، قائلاً: ([1])

يـــا حَســـــرَةً تَتَـــرَدَّد وَعَبـــرَةً لَيسَ تَنفَـــد
عَلى عَلِيِّ اِبنِ موسى اِب نِ جَعفَـرِ اِبنِ مُحَمَّد
قَضى غَريبـــاً بِطـوسٍ مِثلَ الحُســامِ المُجَرَّد

ممهداً للزاهي الذي ترسم خطاه، متفاعلا نصيًا مع مكونات تجربته الشعرية، منشداً (سينيته) الحزينة، التي يصور فيها شده الرحال لزيارة مشهد هذا الإمام الجليل بطوس، بقوله: ([2])

١_ الديوان: شرحه حسن حمد، ص ٥٩.
٢_ الديوان: ص ١٠١.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

ساقها شوقٌ إلى طَـو سٍ ومَنْ تَحمِيه طُـوسُ
مشهْدٌ فيه الرضَا العا لِمُ والحَبْـــرُ النفيسُ
ذاك نـــورُ الله لايُطْ فَـى لـــه قَــطُّ قَبِيسُ
ذاكَ من تعيَـــا إذا عَدَّتْ مَعَالِيه النُّفُوسُ
ويضيقُ الحِبْرُ والأقْ لامُ عنهَـا والطُّـرُوسُ
قد تزكَّـى وتعالَـى وغَـــدَا وهْوَ الرَئِيسُ
كَمْ بِهِ طـــابَ نَعِيمٌ وبِهِ قَــدْ زَالَ بُــوس

ويتفاعل الزاهي في هذه الأبيات تفاعل معنى، مع أبيات دعبل السالفة الذكر، يؤكد من خلالها الظلم الذي وقع على الإمام علي الرضا _رضي الله عنه_، يشيران إلى غربة الإمام الرضا، وإن كان الزاهي قد أضاف إلى معنى دعبل بعضَ صفات الإمام الرضا _رضي الله عنه_، فهو العالم الصالح المتفرد، وهو قبس من نار، وهو متعدد المعالي والفضائل مما لا تستطيع الأقلام والصحف أن تحصيه، فقد نما وتسامى وصار هو الرئيس، فبه يتحول الشقاء والبؤس إلى نعيم، ولعل في هذا إشارة إلى حقد المأمون عليه، حتى دس السم إليه، كما تقول بعض الروايات.

وفى تجسيده لعقيدته في (المهدى المنتظر)، يقول الزاهي: ([1])

وعلَى صاحِبُ العَسْكَـرِ والمُفَرْ رِجُ لِي باباً لطـــولِ ادِّكَـــارِي
وأخُو الإحسانِ _أعنِي إمامِـــي حَسَنَاً_ والركـــنُ ذو المستجارِ
وهو المَهْدِيُّ رُوحِـــي فِـــــدَاهُ طَالَ شوقِي بعدَه وانتظارِي !!

متفاعلا تفاعلا نصيًا بناه على تراث سابقيه من الشعراء أمثال سفيان بن مصعب العبدى، الذي يطالعنا قائلاً: ([2])

والعسكريين والمهـــــدي قائمهـم ذو الأمر لابس أثواب الهدى القشب
من يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت جوراً ويقمع أهـــل الزيـــغ والشغب

---

١ _ الديوان: ص ٨٣.
٢ _ د. عبد المجيد الإسداوي: شعر سفيان بن مصعب العبدي (ت نحو ١٧٠ هـ/ ٧٩١ م)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠ م، ص ٨٤ _ ص ٨٥.
العسكريان: هما أبو الحسن العسكري، وأبو محمد الحسن بن علي المعروف بالعسكري، وهو الإمام الحادي عشر من الائمة الاثنى عشر، وأمه أم ولد تدعى (سوسن)، ولد في مدينة (سامراء)، بين سنتي (٢٣١ _ ٢٣٢ هـ)، وتوفي بها سنة (٢٦٠ هـ).. ينظر: وفيات الأعيان: ٢/ ٩٤ _ ٩٥، والأعلام: ٢/ ٢١٦.
المهدي: هو الإمام الحجة أبو القاسم المهدي المنتظر، أبو عبد الله محمد بن الحسن العسكري، صاحب الزمان، وآخر الأئمة الاثنى عشر الجعفرية، في اعتقاد الشيعة الإمامية، ولد في سامراء بين سنتي (٢٥٥ _ ٢٥٨ هـ).
القشب: الجديدة النظيفة البيضاء.
البهم: الشجاع.
الشوس: الأبطال.
الكماة: الفرسان.
القب: النوق الدقيقات.
الكلا الشزب: الضامرات.

القائد البهم والشوس الكمـاة إلـــى حرب الطغـاة على قبِّ الكلا الشزب

فالزاهي يتفاعل مع أبيات العبدي تفاعلا نصيا في معناها، فهما يؤكدان حقيقة عقدية شيعية، وهو عودة المهدي مرة أخرى إلى الأرض، ليملأها عدلًا بعد أن امتلأت جورًا وظلمًا، ويجعله الزاهي الملجأ والمستجار الذي يستغيث به ويركن إليه، متمنيًا لقاءه الذي طالما انتظره طويلًا.

فإذا تركنا عيون شعره الشيعي المذهبي، وانتقلنا إلى شعره الذي أفرده لأغراضه الأخرى، طالعنا قوله الذي يتحسر فيه على خذلان الدهر إياه، ووقوفه حجر عثرة دون تحقيقه مآربه، بقوله: (١)

أُحْصِي علَى دهرِي الذنوبَ بمُقلةٍ لِدُمُوعِهَـا لا أَمْلِكُ الإِحْصَاءَا

متفاعلا نصيًا في هذا المعنى، مستعيرًا أدوات معجمه اللغوي والدلالي، من قول ديك الجن: (٢)

أنا أُحْصِي فيكَ النُّجُومَ ولكِنْ لذُنوبِ الزمانِ لستُ بِمُحْصِي!!

ولعل التفاعل النصي هو الذي دفع الثعالبي إلى اتهام الزاهي بالسرقة، قائلا: "ووجدت في كتاب أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدان، في مجموعة المترجم بحاطب الليل، قصيدة للزاهي أولها (من الكامل):

الليلُ مِنْ فكرِي يصيرُ ضِيـاءَ والسيفُ من نَظَرِي يذوب حياءَ
والخيلُ لو حمَّلْتَها علمي بِها لتركتها تحتَ العجـاجِ هبـــاءَ

منها:

أُحْصِي علَى دهرِي الذنوبَ بمُقلةٍ لِدُمُوعِهَا لا أَمْلِكُ الإِحْصَاءَا

سرقة من قول ديك الجن (من الخفيف):

أنا أُحْصِي فيكَ النُّجُومَ ولكِنْ لذُنوبِ الزمانِ لستُ بِمُحْصِي!!

ولكن ترى الباحثة أنه على الرغم من التشابه الموجود بين الشاهدين، وهو تأكيد عجزهما في إحصائهما الذنوب، إلا أن الزاهي _وإن تمثل_ معنى بيت ديك الجن، فلا يعني هذا على الإطلاق أنه قد سرق معناه، كما أن بيت الزاهي جاء على بحر الكامل، بينما جاء بيت ديك الجن على الخفيف.

كما تفاعل الزاهي في قوله: (٣)

مَنِ ارْتَقَى متنَ النبيِّ صَاعِـداً وكسَّرَ الأَوْثانَ في أُولَى الفُـــرَصْ
وطَهَّرَ الكعبةَ مِنْ رِجْسٍ بِهَـا ثمَّ هَوَى للأرضِ عَنْهَـــا وَقَمَصْ

١_ الديوان: ص ١٤٦.
٢_ الثعالبي: يتيمة الدهر، ١/ ٢٩١_ ٢٩٢. (لم أجد هذا البيت في ديوان ديك الجن المطبوع)
٣_ الديوان: ص ١٠٤.

تفاعل معنى مع قول الناشئ الأصغر: (١)

إمامٌ عَلا من خَاتَمِ الرُّسلِ كاهلًا وليس (عليٌّ) يحمل (الطهر) كاهله
ولمَّا دحا الأصنام أومـأَ بكفِّه فكادت تنـــال النجم منه أنامـله

وقول أحمد بن علوية: (٢)

فتناول (الصنمَ الكبيرَ) فَزَجَّه مـن فوقِه ورمـــاهُ بالكذَّانِ
حتَّى تحطَّم منكباهُ ورأسُـــه ووهَى القوائم والتقى الطرفانِ

فعن الإمام علي بن أبي طالب _رضي الله عنه_ قال: انطلق بي رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ حتى أتى بي الكعبة فقال لي: "اجلس" فجلست إلى جنب الكعبة، فصعد رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ بمنكبي، ثم قال لي: "انهض" فنهضت، فلما رأى ضعفي تحته قال لي: "اجلس" فنزلت وجلست، ثم قال لي: "يا علي اصعد على منكبي"، فصعدت على منكبيه، ثم نهض بي رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ فلما نهض بي خيل إلي لو شئت نلت أفق السماء، فصعدت فوق الكعبة وتنحى رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ فقال لي: "ألق صنمهم الأكبر صنم قريش، وكان من نحاس موتَّدا بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عالجه" ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول لي: "إيه إيه جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا" فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فقال : "اقذفه"، فقذفته فتكسر وترديت من فوق الكعبة، فانطلقت أنا والنبي _صلى الله عليه وسلم_ نسعى وخشينا أن يرانا أحد من قريش وغيرهم ، قال علي :فما صعد به حتى الساعة. (٣)، وهو المعنى الذي تفاعل معه الزاهي مع الناشئ الأصغر وأحمد بن علوية..

كما تفاعل الزاهي تفاعلا نصيًا مباشرًا، في قوله: (٤)

فأنزلَ اللهُ تعالى (هَلْ أَتَى) وذَكَرَ الجَّزَاءَ فِي ذَاكَ وَقَصَّ!!
ذاك الذي آثر في طعامه علـى صيامِهِ وجَـادِ بالقرصْ

مع قول الناشئ الأصغر أيضًا: (٥)

يوم صـــام (الوصي) والأهـــل للـ ـهِ _تعالى_ يوفـون منهم نُـــذُورا
وحبـــوا في طعامهـــــم ذلك اليـــو م (يتيمًا) و (مؤســـرًا) و (فقيـــرا)
فتلا: "هل أتى على الإنسان" ذا حيـ ن "من الدهر لم يكن شيئا مذكورا"

١_ الديوان: ص ٢٠٥.
٢_ شعر أحمد بن علويه: ص ٨٤.
الكذان: الحجارة الرخوة النخرة.
٣_ ينظر: المستدرك، ج ٢، ٣٦٧_ ٣٧٦، المناقب: ص ١٢١_ ١٢٢.
٤_ الديوان: ص ١٠٥.
٥_ الديوان: ص ١١٧.

وهدى نسلـــــه فأصبـــح (إمـــا شاكرًا) مؤمنًا (وإمـــا كفـــورا)

وقول ابن علوية: (١)

أَمَّنْ على (المسكين) جادَ بقُوته وعلى (اليتيم) مع (الأسيرِ) العاني؟!

حتى تلا التالُون فيها سُـــورةً عُنوانُهـــا (هل أتى على الإنسانِ)!

ونلاحظ من خلال الموازنة بين أبيات الزاهي وأبيات الناشئ الأصغر، أن الزاهي قدَّم النتيجة على المقدمة، فقال (أنزل الله هل أتى)، ثم ذكر سبب نزولها وهو إيثاره _رضي الله عنه_ لغيره، وتصدقه بطعامه، إيفاء بالنذر، بينما جاء التسلسل منطقيًا عند الناشئ الأصغر، فأشار بداية إلى صنيع الأمام علي _رضي الله عن_ وزوجه فاطمة الزهراء _رضي الله عنها_ وتصدقهما بطعامهما، الذي أعداه لصيامها، وفاءً بنذرٍ قطعاه على نفسيهما، ضراعة لله _سبحانه وتعالى_ لكي يشفي الحسنين _رضي الله عنهما_، مما ألم بهما من مرضٍ، فشفاهما الله _تبارك وتعالى_ ووفى الصادقان بالنذر، فنزلت سورة الإنسان لترصد هذه التضحية وهذا الإيثار، والتي تفاعل الناشئ الأصغر تفاعلا لفظيًا مع الكثير من ألفاظها، في أبياته السالفة الذكر، وكانت معاني أبيات ابن علوية هي الأقرب إلى معاني أبيات الزاهي.

كما تفاعل الزاهي تفاعلًا نصيًا، في قوله: (٢)

مَنْ قَدَّ (مرحباً) بيومِ خَيْبَرٍ فارتجسَ الحِصْنُ بِهِ ارتجاسَهْ

مَنْ قَلَعَ البابَ بها وَعَـدَّهُ تِرْسَاً إذا عَدَّ الورَى أتراسَـهْ

تفاعل معنى مع قول سفيان العبدي: (٣)

مَنْ قاتلَ الجن في القيلب؟! ترى من قلع البـــاب ثم دحاها

ومع قول أحمد بن علوية الكاتب (ت ٣٢٠_ ٣٢٢ هـ): (٤)

من هزَّ (خيبرَ) هزةً فتساقطتْ أبراجُها لما دحـــا بالباب؟!

فالشعراء الثلاثة يرصدون بطولات الإمام علي _رضي الله عنه_ يوم خيبر، وإن كان الزاهي أدق وصفًا وأبلغ تعبيرًا، من سفيان العبدي وابن علوية، الذين اكتفيا بوصف إسقاط عليٍّ الباب وخلعه، فإن الزاهي جعله ترسًا لعلي، يدافع به عن نفسه، رغم ثقله الذي يَعجَز الرجال الأقوياء عن حمله، فقد روى ابن إسحاق (١٥١ هـ) حديث أبي رافع مولى الرسول _صلى الله عليه وسلم_ أن عليًا عندما دنا من حصن خيبر، خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود، فطرح ترسه من يده، فتناول عليٌّ بابًا كان عند الحصن، فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح لله عليه، ثم

١_ الديوان: ص ٨٥.
٢_ الديوان: ص ٩٤.
٣_ شعر سفيان العبدي: ص ٥٦.
٤_شعر أحمد بن علوية: ص ٥٧.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

ألقاه من يده حين فرغ، وقال أبو رافع: فلقد رأيتني في نفر سبة معي، أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب الباب، فما نقلبه، وفي رواية أن أربعين رجلا لم يستطيعوا أن يحملوا هذا الباب، وفي أخرى أن سبعين رجلا لم يتمكنوا من حمل هذا الباب، فأعادوه إلى مكانه، بعد أن أجهدهم.. (١)

كما تفاعل الزاهي، في قوله: (٢)

مَنْ قَدْ فَدَا بنفسِهِ مُحَمَّـــداً ولم يكنْ بنفسِهِ عنـــهُ حَـرَصْ

وباتَ مِنْ فوقِ الفِراشِ دُونَه وجَـادَ فيما قد غَلَا وَمَـا رَخَصْ

مع ابن علوية: (٣)

أمَّنْ شَرى لله مُهجـــة نفسِـــهِ دونَ النبيّ عليه ذُو تكـــلان؟!

هل جاد غيرُ (أخيه) ثمَّ بنفسه فوقَ (الفراش) يغُطُّ كالنعسان؟!

وقول سفيان العبدي (ت ١٧٠ هـ): (٤)

فدَاهُ إذ أقبلتْ قريشٍ عليه في فرشه الأمير

تفاعل معنى مع قولي سفيان العبدي، وابن علوية، في إشارة منهما إلى ما فعله زعماء الكفار والمشركين ليلة الهجرة النبوية الشريفة، من همهم قتل النبي الكريم _صلى الله عليه وسلم_، لولا حفظ الله _جل وتعالى_ ورعايته لنبيه الكريم، وفداء الإمام علي _رضي الله عنه_ بالمبيت في فراشه _صلى الله عليه وسلم_ ليلة الهجرة، واستخدم ابن علوية الفعل (جاد)، والعبدي الفعل (فدا)؛ للدلالة على تضحية الإمام علي _رضي الله عنه_ بنفسه فداءً للنبي _صلى الله عليه وسلم_، بينما جمع الزاهي بين الفعلين (فدا) و(جاد) معا؛ ليدلل من خلالهما على عِظَم تضحيته _رضي الله عنه_، فقد فدا بنفسه وجاد بها للنبي _صلى الله عليه وسلم_ غير آبه بما سيكون، وما سيؤول إليه الأمر!!

وقد اعتمد الزاهي على العديد من تأويلات الشيعة هذه، الخاصة بعشرات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، صحيحها وموضوعها على السواء، خاصة فيما يتعلق بقرابة علي بن أبي طالب _رضي الله عنه_ من النبي _صلى الله عليه وسلم_ وإحيائه سنته، فضلا عن بطولاته النادرة، أيام بدر، وأحد، وخيبر، وفتح مكة، ونومه في فراش النبي _صلى الله عليه وسلم_، ونحوها، مع عدله وعلمه، وولايته، وفضل آل البيت في الدنيا والآخرة.

كما تفاعل الزاهي تفاعلًا نصيًا، في قوله: (٥)

سَفَرْنَ بُدُورًا وانتقبْنَ أَهِلَّةً وَمِسْنَ غُصُونًا والتفتْنَ جَآذِرَا

١_ ينظر: كشف الغمة، ١/ ٢١٢_ ٢١٥، والسيرة النبوية: ٣/ ٤٦٧، دلائل النبوة: ٤/ ٢١٢.
٢_ الديوان: ص ١٠٤.
٣_ الديوان: ص ٨٤.
٤_ شعر سفيان بن مصعب العبدي، ص ٢٢.
٥_ الديوان: ص ١٥٧.
سفرن: أظهرن محاسن وجوههن، انتقبن: أي لبسن النقاب، مِسْن: تمايلن، الجآذر: البقر الوحشي.

مع قول المتنبي الذي عاصره: (١)

بَدَتْ قمرًا ومالتْ خَوْط بانِ وفاضتْ عنبرًا ورَنَتْ غزالًا

قال ابن خلكان (٦٨١ هـ): "هذا تقسيم عجيب، وقد استعمله جماعةٌ من الشعراء، لكنهم ما أتوا به على هذه الصورة، فإنه أبدع فيه". (٢)، ووصفها اليافعي (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م)، بقوله: " وهذا تقسيم ظريف، قد استعمله جماعة من الشعراء، لكنهم قصرت بهم القريحة عن بلوغ هذه الصنيعة، ونحوه قول المتنبي (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م):

بَدَتْ قمرًا ومَالَتْ خَوْطَ بَانِ وفَاحَتْ عَنْبَرًا وَرَنَتْ غَزَالا

قلت ولست أدري أيهما سلك طريق الآخر تابعًا له في هذه المآخذ، وهما متعاصران، إذ توفي المتنبي بعده في سنة أربع". (٣)

المبحث الرابع: التفاعل النصي الفكري والكلامي:

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن التفاعل النصي في شعر الزاهي، مع بعض أقوال المتكلمين وآرائهم، وجدنا بعض شعره قد تمثل آراءهم، فالتفاعل النصي الفكري والكلامي في شعر الزاهي هو ما تقصد به الباحثة، اقتباسات الزاهي من أقوال الفلاسفة والمتكلمين، من ناحية، وتضمين معجمه الشعري ببعض مفردات المعجم الشيعي، من ناحية أخرى..

كما في قوله، مثلا: (٤)

قدمتُ حيدرَ لي مولىً بتأميـــــرِ لما علمتُ بتنقِيبـي وتنقيـــرِي
إنَّ الخِلافةَ مِنْ بعــدِ النبيّ لَـــهُ كانتْ بأمرٍ مِنَ الرحمنِ مقــدورِ
" قُم يا عليُّ فكُن بعدِي لهم عَلَماً واسعدْ بمنقَلَبٍ في البَعْثِ مَحْبُورِ
مولاهُمُ أنتَ والمُوفِــي بأمرِهُـــمُ نصًا بوحيٍ عَلَى الألْواحِ مَسْطُورِ

ويبدو أن الشاعر في الأبيات السابقة قد تفاعل في بناء معجمه اللغوي تفاعلا نصيا لفظيًا، مع بعض ألفاظ شاعت في بيئة المتكلمين والفلاسفة، كالتقديم، والتأمير، والتنقيب، والتنقير، والأمر المقدور، والنقل، والخبر، والوحي، والمسطور، هذا من ناحية الألفاظ، أما من ناحية الأسلوب فنجد الزاهي قد تفاعل نصيا كذلك مع بعض أساليب المتكلمين والفلاسفة، الذي يبدو ممن استخدامه لأساليب الجدل والاستدلال والحجج، الذي يبدو في قوله: (٥)

١_ المتنبي: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣ م، ص ١٤٠.
٢_ وفيات الأعيان: ج ٣، ص ٣٧٢.
٣_ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م، ج ٢، ص ٢٦٢.
٤_ الديوان: ص ٨٨.
٥_ الديوان: ص ٧١.
الجحاجحة: السادة المسارعون إلى مكارم الأخلاق.

يا لائمِي في الوِلَا هَلْ أنتَ تعتبِـــرُ بِمَنْ يُوالي رسولَ اللهِ أو يَذَرُ ؟!
هُم دوحةُ المجدِ والأوراقُ شيعتُهُـــم والمصطفَى الأصلُ والذُّريةُ الثَّمَرُ
هُمْ آلُ أحمدَ والصيدُ الجَّحَاجَحَةُ الزْ زُهرِ الغطارِفَةُ العلويَّةُ الغُـــرَرُ

فالشاعر في هذه الأبيات يلجأ إلى أسلوب التقريع والعتاب واللوم، لمن يلومه على ولائه لآل البيت _رضوان الله عليهم_؛ مؤكدًا أنهم أولى من يُوالى؛ لقرابتهم من رسول الله _صلى الله عليه وسلم_، فهم آل أحمد، ودوحة المجد، التي تبدو أوراقها ممثلة في شيعتهم، وأصلها الراسخ ممثلا في المصطفى _صلى الله عليه وآله وسلم_، أما ثمراتها الجنية الطيبة فهي ذريته..

هذا وقد تفاعل الزاهي تفاعلا نصيًا مع بعض معالم معجم الشيعة، الذي يشتمل على كل من (الموالاة)، لآل البيت النبوي الشريف، بوصفهم (آل الله) وحججه، وآل المصطفى، وبني الصوم، والصلاة، وهم الجبال الراسيات، وغصن المجد، لكل هذه الأسباب مجتمعة يستحقون الوصية والخلافة، التي يعتقدون أنها كانت لهم، منذ (يوم الغدير)، حتى المهدى، وهو ما نطالعه في غير موضع، كقوله ([1])

والِ علياً واستضئْ مِقْبَاسَهُ تدخُلْ جِنانَه وتُسْقَى كاسَهْ
فمَن تولاهُ نَجَا ومَنْ عَدَا ما عَرَفَ الدينَ ولا أَسَاسَهْ

وقوله: ([2])

أين بنُــو المصطفى الذينَ عَلَى ال خَلْقِ جميعًا ولاؤُهم فَرْضَــا ؟!
أينَ المصابيـــح فِي الظَّلامِ وَمَنْ عَلَى في الذِّر حُبُّهُم عُرِضَــا ؟!
أينَ الجبـــالُ التي يضيقُ بهـــا عندَ اتساعِ الحُلُومِ كُلُّ فَضَــا ؟!
أينَ البحـــارُ التي تُقَايِـــضُ بالـ عِلْمِ وبالجُود إن هُمَا مُخِضَا ؟!
أين بنُو الصومِ والصـــــلاةِ ومَنْ إبرامُهم في الإلهِ ما انْتَقَضَــا؟

وقوله: ([3])

توليتُ خيرَ الخلقِ بَدْءًا وآخِرَا وألقيتُ رَحْلِي فِي حِمَاهُم مُجَاوِرَا
هُمُ الآلُ آلُ اللهِ والقُطْبِ الذِي بِهِمْ فَلَكُ التَّوْحِيدِ أصبحَ دائِـرَا
أئمةُ حقٍ خاتَمُ الرُّسْلِ جَدَّهُمُ ووالدُهم مَنْ كَـانَ للحقِ نَاصِـرا

الزهر: الحسان، مشرقو الوجوه.
الغطارفة: السادة الأسخياء.
العلويّة: الأشراف النبلاء.
الغرر: البيض الحسان.
١_ الديوان: ص ٩٣.
٢_ الديوان: ص ١١٣.
٣_ الديوان: ص ٦٦.

وقوله: ([1])

يا آل أحمدَ ماذَا كانَ جُرْمُكُمُ فَكُلُّ أرواحِكُمْ بالسيفِ تُتْنَزَعُ ؟!

فقد عكف الزاهي على تراث سابقيه من شعراء الشيعة، وغيرهم، واستطاع تمثله وهضمه، حريصًا على محاكاته، وتضمينه في ثنايا أشعاره، ويشهد على ذلك عشرات المواضع في ديوانه، هذا التمثل، وتلك المحاكاة، تبرزان للمتأمل في قوله واصفاً الإمام عليًا _رضي الله عنه_: ([2])

أبو تُرابٍ حَيْدَرَهْ ذاكَ الإَمَامُ القَسْوَرَهْ
مُبِيدُ كُلِّ الكَفَرَهْ ليسَ لَــهُ مُنَاضِلُ

نهل الزاهي أدوات معجمه اللغوي والدلالي في هذين البيتين، من معين أرجوزة الإمام عليّ _رضي الله عنه_، التي افتخر فيها بتسمية أمه إياه بحيدرة، واصفًا نفسه فيها بأنه شجاع فارس همام، كليث غاب، في عرينه، قسورة، يكيل خصومه بالصاع كيل السندرة لا يضعف، قائلاً: ([3])

أنا الذي سمتنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ كليثِ غابٍ في العرين قَسْوَرَه
أُكِيلُكُم بالصاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

وبالنظر إلى نصي الزاهي وعليّ نلاحظ تأثر الزاهي في اختيار أدوات معجمه اللغوي، والدلالي، للإمام عليّ مستعينًا ببعض ألفاظ رائيته، كحيدرة، والقسورة .. إضافة إلى تضمينه معانى بعض الكلمات الأخرى، بما يؤكد تأثره بفحواها، كما نلاحظ في إشارته لعلى بن أبى طالب، _رضي الله عنه_، بقوله: (ذاك الإمام..)، موازنة بضمير المتكلم الذى بدا به على ، قائلاً : (أنا الذى..)، ووصفه إياه بأنه:

مُبِيدُ كُلِّ الكَفَرَهْ ليسَ لَــهُ مُنَاضِلُ

متفاعلا تفاعلا نصيًا لفظيا مع قول الإمام: (أنا ...كليث غاب في العرين.. أكيلكم بالصاع كيل السندرة).

ويقول: ([4])

يا سيِّدِي يا ابنَ أبِي طَالِبٍ يَا عِصْمَةَ اللاجِئِ والجَّارِ
لا تجعلَنَّ النارَ لِـي مَسْكَنَاً يــا قاسِمَ الجَنَّةِ والنَّارِ !!
يا ساقِي الشِّيعةِ من كَأْسِهِ عندَ وُرُودِ الكَوثرِ الجَّارِي

١_ الديوان: ص ١٢٤.
٢_ الديوان: ص ١٣٤.
٣_ مقاتل الطالبيين: ٢٥، تاريخ الطبري: ٣/ ١٣.
٤_ الديوان: ص ٩١.

اعتمد الشاعر في هذه الأبيات على التفاعل النصي مع النص القرآني المعجز، بمفرداته، وجمله، وتعابيره، وأساليبه، وقصصه، مؤكدًا من خلالها مناصرته لآل البيت النبوي _رضوان الله عليهم أجمعين_ وما يترتب على ذلك من فوز بالجنة ونعيمها، وكوثرها العذب، الذي يشرب منه عباد الله المخلصين، في المقابل يتوعد كل من امتلأ قلبه حقداً وكرهًا لآل البيت الكريم، بالنار وعذابها الشديد، في يقين منه بعدل الله _سبحانه وتعالى_ بين خلقه، فكل يجزى بعمله..

من خلال ما سبق، وبالوقوف عند بعض النصوص التي سبق تحليلها، اتضح أن الزاهي جمع في غير موضع بين عدة أنماط من التفاعل النصي في آن واحد، ففي قوله، مثلًا:

ولمَّا أبـــانَ القولَ عَمَّنْ يقولُـه وأبدَى له ما كان يُبْدِي ويُضْمِـرُ

فقالَ: أمَا تَرْضَى تكونُ خَليفَتِي كهارونَ مِنْ مُوسَى وشأنُكَ أَكْبَرُ؟

تفاعل الشاعر تفاعلًا نصيًا قرآنيًا مع قوله تعالى: "واجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كثيرًا "، من ناحية، ومن ناحية ثانية تفاعل مع ما ورد عن النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_، في قوله: " ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي"، ومن ناحية ثالثة تفاعل في هذين البيتين أيضًا مع ما ورد على لسان غيره من شعراء الشيعة، كقول السيد الحميري:

وكانَ لَهُ أَخًـا وأَمِينَ غَيْبٍ علَى الوحْيِ المُنَزَّلِ حينَ يُوحَى

وكانَ لِأحمدَ الهادِي وزيرًا كَمَا هارونُ كـانَ وزيرُ مُوسَى

وقول ديك الجن:

إنَّكَ مِنِّى يَا عليُّ الأَبِيّ بحيثُ مِنْ مُوسَاهُ هارونُ النبيُّ

لكنَّهُ ليسَ نبيٌّ بَعــدِي فأنتَ خيرُ العالمينَ عِنْــدِي"!!

ومن ناحية رابعة تفاعل تفاعلًا نصيًا مع غزوة (تبوك)، وموقف النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ مع عليّ بن أبي طالب _رضي الله عنه_، عندما دعاه _صلى الله عليه وآله وسلم_ أن يكون نائبًا عنه في المدينة، فذهب المنافقون إلى أن محمدًا _صلى الله عليه وآله وسلم_ قد قَلَى عليًا _رضي الله عنه_، وهو زعم باطل، سحقه النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_، من خلال رفع مكانته عنده، وجعله في مكانة هارون من موسى..

كما جمع الزاهي كذلك بين أنماط عدة من التفاعل النصي، في قوله:

مُكَلِّمُ الشمسِ بِمَـا قالَ لَهَا رَبُّ السَمَا

تسمَعُ منْه الكَلِمَا وَهْيَ لَــهُ تُقَــاوِلُ

إذ تفاعل الشاعر في هذين البيتين تفاعلا نصيًا مع ما ورد عن النبي _ صلى الله عليه وآله وسلم_ لعليّ بن أبى طالب: "يا أبا الحسن، كلم الشمس؛ فإنها تكلمك "، كما تفاعل تفاعلا نصيًا، مع ما روي في واقعة صفين، وكانت صلاة العصر قد حضرت، وكادت الشمس أن تغيب، فنزل عليّ ومن معه، ودعا ربه؛ فرجعت الشمس كمقدارها عن صلاةِ العصر، فصلُّوا العصرَ، ثم غابت الشمس، كما تفاعل تفاعلا نصيًا مع بعض أقوال الشيعة، الخاصة بحادثة تكليم الإمام عليّ _رضي الله عنه_ للشمس، كقول السيد الحميري:

عليٌّ عليه رُدَّتِ الشمسُ مَرَّةً بطيبةَ يومَ الوحيِ بعدَ مَغيبِ
ورُدَّتْ لَهُ أُخْرَى ببابلَ بعدمَا عَفَتْ وتدلَّتْ عينُها لِغروبِ !!

وقول سفيان العبدي:

ظَاهرٌ باطنٌ كَمَا قَالتِ الشَّمـ ـس جهارًا وقوْلها مكتومُ!!

وقول ابن علوية:

أمَّن عليه (الشمسُ رُدَّتْ) بعدَمـا كُسي الظلامُ معاطفَ الجدرانِ
حتى قضى ما فات من صَلواتِهِ في دُبْرِ يومٍ مشرقٍ ضَحْيـانِ

هذه الأمثلة وغيرها، تؤكد مدى نجاح الزاهي في الجمع بين أنماط مختلفة من التفاعل النصي، سواء أكان هذا التفاعل تفاعلا نصيا مع القرآن الكريم، أو مع الحديث النبوي الشريف، أو مع بعض أقوال شعراء الشيعة، أو مع بعض الأحداث التاريخية، وغيرها..

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

الخاتمة

هكذا بدت ملامح "التفاعل النصي" واضحة في ديوان شعر الزاهي، من خلال: التفاعل النصي الديني، سواء كان تفاعلًا نصيًا مع بعض نصوص النص القرآني المعجز، أم تفاعلًا نصيًا مع الهدي النبوي الشريف، وبعض أقوال الصحابة وجبريل _عليه السلام_، بما يخدم عقيدته ومبادئه، والتفاعل النصي التاريخي من خلال الاستفادة من بعض الحوادث التاريخية، خاصة فيما يتعلق بإبراز بطولات الإمام عليّ _رضي الله عنه_ ومواقفه الغرَّاء لخدمة النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ ورسالته، من خلال مشاركته في العديد من الغزوات، كبدر، وأحد، وخيبر، وغيرها، وفدائه للنبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ ونومه في فراشه ليلة الهجرة، والتفاعل النصي الشعري، من خلال اشتراكه مع بعض معاني الشعراء سواء السابقين له أو المعاصرين، وأخيرًا والتفاعل النصي مع بعض الآراء الفكرية والكلامية، من خلال اقتباسات الزاهي من أقوال الفلاسفة والمتكلمين من ناحية، وتضمينه لبعض مفردات المعجم الشيعي من ناحية أخرى..

فقد آمن الزاهي، كغيره من شعراء الشيعة، في عصره، وسابقيهم، بمدى أحقية علي بن أبي طالب وآل بيته _رضي الله عنهم_، بإمامة المسلمين وخلافتهم، دون غيرهم من الصحابة والتابعين، على مرِّ العصور، وحافظ على معالم هذا الإيمان؛ حتى وُصِفَ بالغُلُوِّ، والتطرف المذهبي؛ ولذا راح يقتفي آثار سابقيه من شعراء الشيعة، حتى عصره، في إثراء تجاربه الشعرية التي خصص الجزء الأكبر منها؛ تجسيدًا لهذا الإيمان، بفيوض متداخلة، ومتكاملة من النصوص والمواقف والمرويات التي تفاعلت قريحتُه مع آفاقها، بوعي وبصيرة، مُتعمِّقًا في القراءة الجيدة الواعية والرواية والحفظ والمُعايشة الحية الثاقبة لكل ما تراكم جليًا أمام مخيلته الشعرية من تراث قولي، أو مُمَارَس، أو مكتوب، فضلًا عن العادات والتقاليد، والطقوس، والممارسات الفردية والجماعية التي دأب معاصروه من شيعة الإمام عليّ وبنيه _رضي الله عنهم_، وسابقوهم على الاحتفاء بها، والاحتفال بمعالمها، في مجالس العلم والأدب، والتعزية والمواساة شبه اليومية، التي كانت تتكرر في ذكرياتهم السعيدة، وغير السعيدة، التي تُعيد للأذهان مؤاخاة النبي _صلى الله عليه وآله وسلم_ لأخيه عليّ، الذي بات في فراش النبي، وقضى دُيُون ابن عمه، وأبلى البلاء الحسن في مغازي الإسلام الأولى، في بدر وأحد، والأحزاب، وخيبر، وغيرها.. جنبًا إلى جنب مقتل ابنه الحسين وآل بيته.. مُعتمدًا على دلالات ما تواتر أمام مخيلته من نصوص قرآنية بعينها، دأب الشيعة على ربطها بكرامات الإمام علي وآل بيته، تفسيرًا وتأويلًا.. تُعضِّد بعض المواقف النبوية والأحاديث والمرويات في كتب السنة، وغيرها من المصادر الشيعية، كما تواكبها عيون من أشعار معاصريه وسابقيهم، دأب أصحابها على التغنِّي بأمجاد آل البيت النبوي، ورفع رايات الحزن والفجيعة لما أصابهم من محنٍ وكوارث على مر

العصور.. معتمدًا على تغذية تجاربه الشعرية، وتقوية دعائمها الفنية بروافد هذه العناصر الموروثة، وغيرها، وكأنها أدلة حجاجية مترامية الأطراف، تتجاوز حدود الزمان والمكان؛ لتؤكد مدى أحقيته في الوقوف على قواعد راسخة صلبة من الفكر الصحيح، والمنهج القويم الذي يُباري فيه شعراء عصره، من الخصوم الذي يخالفونه في المذهب السياسي والمعتقد الديني..

وقد سلك الزاهي في بناء أسلوبه ولغته الشعرية من خلال نهله المتواصل من الروافد النصية المختلفة المناهل، وغير النصية المتداخلة، بعضها في بعض، أو غير متداخلة؛ بمجيئها مستقلة بذاتها، صريحة، أو غير صحيحة، بعد هضمها جيدًا، وإخضاع مكوناتها لروح تجاربه الشعرية، متعددة الاتجاهات..

ومن خلال ما سبق نستطيع إجمال الروافد والبُنى النصية التي تفاعل الشاعر مع معالمها في رحاب ما وصل إلينا من شعره في عدة روافد نصية، تتقدمها آياتُ الذكر الحكيم، مرتبطة ببعض مرويات أسباب نزولها، وتأويلاتها الشيعية.. وتليها بعض الأحاديث والروايات النبوية، وغير النبوية التي أُخْتُصَّت بها بعضُ المصادر الشيعية.. إضافة إلى بعض الأقوال المأثورة عن كل من جبريل _عليه السلام_، والفاروق عمر _رضي الله عنه_، وبعض عيون الشعر المتواترة في أشعار سابقيه وبعض معاصريه، كما مر بنا..

وتوصي الباحثة بامتداد البحث في أشعار معاصريه من أصحاب الفرق الأخرى؛ للوقوف على مدى مواكبتهم له، أو ابتعادهم عنها في هذا المجال الفنيّ، وهو ما ترجوه في قابل الأيام إن شاء الله، والله الموفق والمستعان..

الباحثة..

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بالمدينة المنورة، ١٤٣٣ هـ.

أولًا: المصادر:

الزاهي، علي بن إسحاق بن خلف (ت بين ٣٥٢_ ٣٦١ هـ): ديوانه، حققه وذيله، وقدَّم له د. عبد المجيد الإسداوي، مكتبة عرفات، الزقازيق، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م.

ثانيًا: المراجع:

١. إبراهيم العاتي: الظاهرة الحسينية في الشعر العربي، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م.
٢. ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت ٥٥٥ هـ): اللباب في تهذيب الانساب، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨ م.
٣. أحمد الزغبي: التناص نظرياً وتطبيقيا، مؤسسة عمون للنشر، الأردن، ط ١، ٢٠٠٠ م.
٤. الإربلي، بهاء الدين أبو الحسن علي بن عيسى (ت ٦٩٣ هـ): كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
٥. إسماعيل باشا البغدادي الباباني: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، د. ت.
٦. الأمين، السيد محسن بن عبد الكريم (ت ١٣٢٢ هـ): أعيان الشيعة، حققه وأخرجه ولده/ حسن الأمين، م. الإنصاف، بيروت، ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩ م.
٧. البخاري، أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦ هـ): صحيح البخاري، بحاشية السندي، م. الحلبي، القاهرة، د. ت.
٨. البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٣ هـ): تاريخ بغداد، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د. ت.
٩. البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩ هـ): أنساب الأشراف، حققه وقدم له: سهيل زكار – رياض زركلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م.
١٠. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ): دلائل النبوة، تحقيق/ د. حسين نصار، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م.
١١. تركي المغيض: الاشتباك النصي في شعر يعقوب الرشيد، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية، الكويت، ٢٠١٧ م.
١٢. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورة (ت ٢٧٩ هـ): سنن الترمذي، تحقيق/ محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، دار الحديث، القاهرة، د.ت.

١٣.تزفتان تودورف، رولان بارت، امبرتو اكو، مارك انجينو: في أصول الخطاب النقدي، ترجمة وتقديم أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ١، ١٩٨٧ م.
١٤.ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف اليشبقاوي (ت ٨٧٤ هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د. ت.
١٥.الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ):
- كتاب أحاسن المحاسن، نسخه وضبطه وعلق عليه/ أحمد بن عبد العزيز الربعي، دار النوادر، دمشق، وبيروت، د.ت.
- كتاب غرر البلاغة في النظم والنثر، تحقيق د. قحطان رشيد صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٨ م.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣ م.

١٦.جراهام ألان: نظرية التناص، ترجمة باسل المسالمه، دار التكوين، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١١ م.
١٧.جُنيد بن محمود بن محمد: حدائق الأنوار وبدائع الأزهار (انتهى من تصنيفها سنة ٧٩٠ هـ)، حققها/ هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م.
١٨.جواد شبر: أدب الطف، دار المرتضى، بيروت، ١٩٨٨ م، (صدَّر غلافه باسم: سوانح الأفكار).
١٩.ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩ م.
٢٠.جوليا كريسطيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م.
٢١.حازم سليمان الحلي: النبي وآله عليهم السلام في الشعر العربي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م.
٢٢.حسين جمعة: المسْبار في النّقد الأَدبي (دراسة في نقد النقد للأدب القديم والتناص)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣ م.
٢٣.حسين خمري: نظرية النص، من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٧ م.
٢٤.حسين منصور العمري: إشكالية التناص (مسرحيات سعد الله ونوس نموذجًا)، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن.
٢٥.الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت ٦٢٦ هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧ م.

٢٦.الحميري، أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ): السيرة النبوية، حققها/ مصطفى السقا وزميلاه، م. الحلبي، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٥٥ م.

٢٧.ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد (ت ٢٤١ هـ): المسند، بيت الأفكار الدولية، الأردن والسعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٢٨.ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق/ د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٦ م.

٢٩.دعبل الخزاعي: الديوان

_ تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي الخزرجي، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٢ م.

_شرحه حسن حمد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.

٣٠.ديك الجن: الديوان، حققه وأعد تكملته/ د. أحمد مطلوب و د. عبد الله الجبوري، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤ م.

٣١.الدينوري، أبو عبد الله محمد بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ): المعارف، حققه وقدم له/ ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، ط ٤، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

٣٢.الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ):

- أحاديث مختارة من موضوعات الجوزقاني وابن الجوزي، حققه وعلق عليه/ عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.
- سير أعلام النبلاء، تحقيق/ أكرم البوشي، م. الرسالة، بيروت، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م.

٣٣.روفائيل بطي: الأدب العصري في العراق، أو النجفيات، م. الغرى الحديثة، النجف، ١٩٥٤م.

٣٤.رولان بارت: درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، تقديم عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣ م.

٣٥.الزركلي: خير الدين محمود بن محمد (ت ١٣٩٦ هـ): الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٩، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م.

٣٦.سارة كوفمان وروجيه لابورت: مدخل إلى فلسفة جاك دريدا_ تفكيك الميتافيزيقا واستحضار الأثر، ترجمة إدريس كثير وعز الدين الخطابي، الدار البيضاء، ١٩٩٩ م.

٣٧.سامي مكي العاني:

- معجم التراث الشعري المطبوع رئاسة ديوان الوقف السني، جمهورية العراق، ٢٠٠٥ م.
- معجم ألقاب الشعراء، مكتبة الفلاح، دبي، ١٩٨٢ م.

٣٨.سعود محمود عبد الجابر: الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م.

٣٩.سعيد حسين بحيري: علم لغة النص، الشركة العالمية للنشر لونجان، مكتبة لبنان ناشرون، ط ١، ١٩٩٧ م.

٤٠.السعيد محمد بدوي وزملاؤه: معجم أسماء العرب، إشراف/ محمد بن الزبير، مكتبة لبنان، بيروت، وجامعة السلطان قابوس، مسقط، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م.
٤١.سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٢، ٢٠٠١ م.
٤٢.السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي (ت ٥٦٢ هـ): الأنساب، تقديم وتعليق / عبد الله عمر البارودي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨ م.
٤٣.السيد الحميري: الديوان، شرحه وضبطه وقدَّم له ضياء حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.
٤٤.الشحات غمري أحمد: النبي وصحبه في الشعر العربي، مكتبة عرفات، الزقازيق، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.
٤٥.ابن شهراشوب، أبو عبد الله محمد بن علي السروي المازندراني (ت ٥٨٨ هـ):
- معالم العلماء، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦١ م.
- مناقب آل أبي طالب، تحقيق د. يوسف البقاعي، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت،١٤١٢ هـ/ ١٩٩١ م.

٤٦.شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية_ العراق إيران)، دار المعارف، القاهرة، ط ٥، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م.
٤٧.الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ):
- كشف الحال في وصف الخال: دراسة وتحقيق/ عبد الرحمن بن محمد العقيل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.
- الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه، حققه وعلق عليه/ د. هلال ناجي ووليد أحمد الحسين، إصدارات الحكمة، بريطانيا، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.
- الوافي بالوفيات، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٤٣٤ هـ/ ٢٠١٣ م.

٤٨.الصنعاني، الشريف ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسني اليمني (ت ١١٢١ هـ): نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر، تحقيق/ كامل الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٩٩ م.
٤٩.الطهراني، أغا بزرك محمد محسن (ت ١٣٩٠ هـ): الذريعة إلى تصانيف الشيعة، النجف، ١٩٣٦ م.
٥٠.ابن ظافر علي الأزدي المصري (ت ٦٢٣ هـ): غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، تحقيق/ د. محمد زغلول سلام، ود. مصطفى الجويني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣ م.
٥١.فاضل ثامر: من سلطة النص إلى سلطة القارئ، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد ٤٨، فبراير ١٩٨٨ م.

٥٢.عباس محمد رضا القمي (ت ١٣٦١ هـ):

- فوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية، تحقيق/ باصر باقري بيدهندي، انتشارات مؤسسة بوستان، طهران، ١٣٨٥ هـ.
- الكنى والألقاب، م. الحيدرية، النجف، ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦ م.
- عبد الحسين أحمد الأميني النجفي: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٦٧ م.

٥٣.عبد القادر البقشي: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي_ دراسة نظرية وتطبيقية، تقديم د. محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٧ م.

٥٤.عبد الله محمد الغذّامي: الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية – قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٤، ١٩٩٨ م.

٥٥.عبد الله طاهر الحذيفي: فاعلية التعبير القرآني في الشعر المحدث العباسي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٩ م.

٥٦.العبدي، سفيان بن مصعب (ت ١٧٠ هـ/ ٧٩١ م): شعره، جمعه وقدم له د/ عبد المجيد الإسداوي، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠ م.

٥٧.العبيدي، محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد (من رجال القرن الثامن الهجري): التذكرة السعدية في الأشعار العربية، تحقيق د. عبد الله الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م.

٥٨.العدواني، أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد (ت ٦٥٤ هـ): المختارات الفائقة من الأشعار الرائقة، تحقيق أحمد بن عبد العزيز الربعي، دار البشائر الإسلامية، ١٤٣٤ هـ/ ٢٠١٣ م.

٥٩.عفيف عبد الرحمن: معجم الشعراء العباسيين، جروس برس، طرابلس، لبنان، ٢٠٠٠ م.

٦٠.ابن علوية، أحمد بن علوية الكاتب (ت بين ٣٢٠_ ٣٢٢ هـ/ ٩٣٢_ ٩٣٣ م)، شعره، جمعه وعلق عليه وقدم له/ أبو الطاهر عبد المجيد الإسداوي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٩ م.

٦١.علي جعفر العلاق:

_ الشعر والتلقي_ دراسة نقدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط ٢، ٢٠٠٢ م.

_ الدلالة المرئية، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.

٦٢.عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.

٦٣.عمر عبد الواحد: التعلّق النصّي، مقامات الحريري نموذجًا، دار حروف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩ م.

٦٤.أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي (ت ٣٥٦ هـ): مقاتل الطالبيين، شرح وتحقيق/ السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٦٨ هـ/ ١٩٤٩ م.
٦٥.فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، المجلد الثاني: الشعر إلى حوالي ٤٣٠ هـ، الجزء الرابع، العصر العباسي، نقله إلى العربية د/ عرفة مصطفى، راجع الترجمة/ د. محمود فهمي حجازي و د. سعيد عبد الرحيم، جامعة الإمام محمد، الرياض، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.
٦٦.فؤاد صالح السيد: معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠ م.
٦٧.القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت ٢٧٥ هـ): سنن ابن ماجه، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر العربي، بيروت، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م.
٦٨.القشيري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ): صحيح مسلم، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١ م.
٦٩.كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر، ١٩٧٤ م.
٧٠.كاظم جهاد: أدونيس منتحلا_ دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة، يسبقها: ما هو التناص؟ مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣ م.
٧١.كامل سلمان الجبوري: معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٥ م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م.
٧٢.ابن كثير الدمشقي، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ): البداية والنهاية، مطبعة السعادة، القاهرة، د.ت.
٧٣.الكميت بن زيد الأسدي (ت ١٢٦ هـ): الهاشميات، تفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم، تحقيق د.داود سلوم ودنوري القيسي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
٧٤.مارك أنجينو: التناصية، ضمن كتاب (دراسات في النص والتناصية)، لمحمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
٧٥.محسن غياض: التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول، مطبعة النعمان، النجف بالأشرف، ١٩٧٣ م.
٧٦.محمد بن أيدمر المستعصمي (ت ٧١٠ هـ): الدر الفريد وبيت القصيد، تحقيق د. كامل الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٥ م.
٧٧.محمد جابر عبد العال الحيني: حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق إبان العصر العباسي الأول، دار المعرفة، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٧ م.

٧٨.محمد السماوي (ت ١٣٧٠ هـ): الطليعة من شعراء الشيعة، تحقيق/ كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠١ م.

٧٩.محمد شحادة عليان: المديح في بلاط سيف الدولة الحمداني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م.

٨٠.محمد عزام: النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي_ دراسة_، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١ م.

٨١.محمد حسن آل ياسين: تاريخ المشهد الكاظمي، م. المعارف، بغداد، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م.

٨٢.محمد رافع القاضي: استدعاء الشخصية التاريخية في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مؤسسة اليمامة الصحفية، (سلسلة كتاب الرياض)، العدد ١٠٤، يوليو ٢٠٠٢ م.

٨٣.محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، وبيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢ م.

٨٤.المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١ هـ): بحار الأنوار، طهران، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٢م.

٨٥.مصطفى الشكعة: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨١ م.

٨٦.منير محمد المدني: فهرست المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، الجزء الأول: (الأدب)، مراجعة د. محمد مرسي الخولي، ط. المعهد، القاهرة، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

٨٧.ميخائيل عواد: مخطوطات المجمع العلمي العراقي ببغداد، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

٨٨.الميكالي، أبو الفضل عبيد الله بن أحمد (ت ٤٣٦ هـ): (فيما نُسب له)، تحقيق د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م.

٨٩.الناشئ الأصغر عليّ بن عبد الله بن وصيف: الديوان، تحقيق د. عبد المجيد الإسداوي، مكتبة عرفات، الزقازيق، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨ م.

٩٠.ناصر محمد السويدان ومحسن السيد العريني: مداخل المؤلفين والأعلام العرب، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، الرياض، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

٩١.نانسي إبراهيم: التعالق النصي_ في الخطاب النقدي والإبداع الشعري، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤ م.

٩٢.نصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ): وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٢ هـ.

٩٣.نهلة فيصل الأحمد: التفاعل النصي_ التناصية Intertextuality النظرية والمنهج، مؤسسة اليمامة الصحفية، (سلسلة كتاب الرياض)، العدد ١٠٤، يوليو ٢٠٠٢ م.

٩٤.نور الدين بن شريف الدين المرعشي التسْتُري (ت ١٠١٩ هـ): مجالس المؤمنين، ط. حجري، طهران، د. ت.

٩٥.اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨ هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان، م. الأعلمي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م.

٩٦.يحيى شامي: موسوعة شعراء العرب، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٩ م.

ثالثًا: المجلات والدوريات:

١. إبراهيم مصطفى محمد الدّهون: التناص الديني في شعر أبي العتاهية، مجلة كلية الآداب: عدد ٦٠، ٢٠١٧ م.
https://sciences.univeyes.net/journals/artman_journal/article_147054_e7a6f458da8bc1c3960479b4a48463c2.pdf

٢. أسامة شكري العدوي: التناص القرآني في الشعر العباسي دراسة بلاغية نقدية، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، ع ٣٤، مج ٤، ٢٠١٤ م.

٣. تركي المغيض:
- التناص في معارضات البارودي، مجلة أبحاث اليرموك، م ٩، ع ٢، ١٩٩١ م.
- مصطلح التناص ومشتقاته في حقل الترجمة إلى العربية مجلة ترجمان، م ٦، ع ٢، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، طنجة المغرب، ١٩٩٧ م.

٤. حسن علي بشير بهار: التناص الديني عند أبي العتاهية، ر. م، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٣_ ٢٠١٤ م.
https://ebook.univeyes.com/112694

٥. حسين جمعة: نظرية التناص_ صك جديد لعملة قديمة، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج ٧٥، ج ٢، ٢٠٠٠ م.
file:///C:/Users/kamal/Downloads/0691-075-002-003.pdf

٦. سامي مكي العاني: معجم التراث الشعري المطبوع، رئاسة ديوان الوقف السني، جمهورية العراق، ٢٠٠٥ م.

٧. صبري حافظ: التناص وإشاريات العمل الأدبي، مجلة عيون المقالات، المغرب، العدد ٢، ١٩٨٦ م.
https://archive.alsharekh.org/MagazinePages/MagazineBook/Ouyon_AL_Makalat/sana_1986/Issue_2/index.html

٨. عائد عبد الرحمن عبد الرحيم محمود: التناص في شعر أبي فراس الحمداني، ر. د، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠١٥ م.
https://0610gi11u-1104-y-https-search-mandumah-com.mplbci.ekb.eg/Record/1043272

٩. عبد الله عبد الجواد، د. زهير أحمد المنصور: التناص الديني وتشكيل الرؤية_ أبو نواس أنموذجًا، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، عدد ١، يناير ٢٠٠٢ م.

١٠.عبد المجيد الإسداوي: شعر علي بن إسحاق الزاهي تجلياتُهُ وبناؤُهُ التشكيليُّ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة المنيا، المجلد التاسع والعشرون، سلسلة الإصدارات الخاصة، يوبو ١٩٩٨ م.

١١.فواز بن زايد العقيل الشمري: التناص في شعر البحتري، ر. د، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠١١ م.

https://0610gi11u-1104-y-https-search-mandumah-com.mplbci.ekb.eg/Record/731520

١٢.مارك دو بيازي: نظرية التناص، ترجمة المختار حسني، مجلة علامات في النقد، عدد ٣٤ ، ١ ديسمبر ١٩٩٩ م، ص ٢٤٨.

https://archive.alsharekh.org/MagazinePages/MagazineBook/ALamat_fe_alnqd/ALamat_fe_alnqd_1999/Issue_34/index.html

١٣.ماهر فارس فندي البطاينة: التناص في شعر أبي فراس الحمداني، ر. د، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠١٢ م.

https://0610gi11u-1104-y-https-search-mandumah-com.mplbci.ekb.eg/Record/730114

١٤.محمد مهدي نجف: فهرس مخطوطات مكتبة الإمام الحكيم العامة بالنجف الأشرف، م. الآداب، النجف، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م.

١٥.محمود محمد سالم عبيدات: التناص في شعر أبي نواس، ر. د، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٧ م.

https://0610gi11u-1104-y-https-search-mandumah-com.mplbci.ekb.eg/Record/717974

١٦.مصباح أحمد الصادق: التناص في شعر أبي الطيب المتنبي، المجلة الليبية العالمية: جامعة بني غازي، كلية التربية بالمرج، عدد ٦، مارس ٢٠١٦ م.

http://search.mandumah.com/Record/762866

رابعًا: دوائر المعارف والموسوعات:

البستاني، المعلم بطرس بن بولس بن عبد الله (ت ١٣٠٠ هـ): دائرة معارف البستاني، دار المعرفة، لبنان، د. ت.

خامسًا: المراجع الأجنبية:

Johnathan Culler :Structuuralist poeties ،cornell Univ. press. Ithaca, N.Y. 1975.

J. Kristeva :Semiotike, Seui, Paris, 1969.

Textual Strategies. Ed. Josue Harari, Cornell Univ. press, Ithaca, N.Y. 1975.